لاجئ إلى عينيكِ
لاجئ إلى عينيكِ
رواية
لاجئ إلى عينيكِ
عامر سليمان
إشراقات
AMER SOLIMAN

كتبتُ لكِ كتاباً، و حلم النساءِ في وطني بيتُ شعر ...

لا جئ إلى عينيكِ

عامر سليمان

2019

إشراقات
للنشر والتوزيع

لاجئ إلى عينيك
تأليف: عامر سليمان
دار أشراقات / الكويت
الطبعة الأولى 2019
الأشراف العام:
عبد الله العويص
alawisabdullah1@gmail.com
ISBN: 978 - 99966 - 84 - 25 - 8 :ردمك
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية - الكويت
2018 / 2071
التصميم والإخراج الفني
اياد السلفيتي
Eyad.dam

إشراقات
للنشر والتوزيع

dareshrakat@gmail.com
(965) 66974601
darishrakat
dareshrakat11
dareshrakat

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

الإهداء

منذ كنتُ طفلاً و كنتُ أقيسُ شجاعتي بعدد الخطوات التي
أسير بها، مبتعداً عنكِ دون أن ألتفت لأرى إن كنت
لا تزالين تنظرين إلي بعينيك الملونتين...
كانت عيناك عكازاي يا أمي
كبرتُ...
و إلى الآن كلما حاولت أن أخطو بعيداً عن عينيكِ أقع.
إهدائي هذا لكِ، لأحملكِ معي إينما ذهبتُ كي لا أقع مجدداً.
إلى الأنثى التي تستعبد بعينيها كل اللغات
أمي

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

كل إنسان في هذا العالم يولد مرة واحدة .

و يموت مرة واحدة .

باستثناء من يكتبون .

أولئك الأشخاص يموتون مع السطر الأخير من كتاباتهم باستمرار .

منذُ أن ولدت ، كنتُ أمتلك ثلاث رئات !

اثنتين كباقي البشر، والرئة الثالثة للكتابة، لكن المفارقة الساخرة هي أنني أعيش برئة واحدة فقط . هي رئة الكتابة، هذه الرئة لا تتنفس الأكسجين بل الكلمات، لذا إنَّ كل حرفٍ أكتبهُ هو نبضة تبقيني على قيد الحياة، ربما كان جواب السؤال الذي يسأله الجميع باستغراب عن عدم تدخيني للسجائر او لغيرها أنني أمتلك رئة واحدة تعمل فقط .

انا لستُ مختلفاً عنكم، كل ما في الأمر أنني أتنفّس على الورق .

في قلــب كل مـنا

قصـــة حــــــب

ربما لم تُروَ بعد

لكننا ننتظر أن

ينتهي القدر من

كتابتها لتقرأها

الأيـــــــــام

. . .

الفصل الأول

الأحداث الهامة في حياتنا لا تحدث إلا بأشخاص استثنائيين، يدخلون فوضانا فيعيدون ترتيب أثاث الدقائق، و ستائر الساعات، فنغدو أجمل، و تغدو أيامنا أجمل بهم .

اللقاء المجنون

لم يعتد آدم أن يكونَ شاباً نمطياً، يمكن التنبؤ بتصرفاته قبل أن يفعلها . . .

أرادَ دائماً أن يكسرَ حاجزَ المألوف، ويعبر إلى المفاجئ .

آدم ذلك الشاب الطويل بعينيه الملونتين الواسعتين و لحيتهِ الخفيفة . . .

هوايتهُ كانت أن يسكب الدهشة و الذهول في عيني كل شخصٍ يحاول أن يتوقعهُ، ببساطة هو شخصٌ غير قابلٍ للقراءة أبداً، كروايةٍ فقدت بعض كلماتها، أو تشوهت بعضُ أحرفها، بسببِ خطأ في الطباعة، فلم تعد تستطيع أن تبوح بمحتواها، ولشخصٍ مثله، كان هناك طريقٌ واحدٌ ليسير فيهِ، هو الجنون بقدرِ الجنون الذي تتسم بهِ شخصيتي كان جمالها . . .

أنا و لسنوات، كنتُ على موعدٍ مع الحب، انتظرته بفارغ اللهفة، وعندما تقابل فتاة كسيلينا، ستعلم لماذا يجب أن تكون مستعداً دائماً، لفتاةٍ تأتيك على هيئة إعصارٍ أنثوي، إذا مرَّ بك، ترَكَك بقايا رجل .

سيلينا تلك الفتاة الجميلة بعينيها الخضراوتين الساحرتين، و قوامها الجميل، و جسدها الأبيض البلوري الشفاف، لدرجةِ أنه يؤلمك النظر إليها .

فهذا النوع من الجمال مقرونٌ دائماً بداء التملك، لا يمكنك التفكير به بعيداً عن الشعور بأنه لكَ، ولكَ وحدك .

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان
amer.suliman.92

لا أستطيع أن أتحدث عنها أكثر من ذلك، و لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كانت حقاً تستحقُ الانتظار.

عندما شاهدتها للمرة الأولى، كانت تقفُ مع صديقاتها بالقربِ من حديقةٍ، وضحكاتهنَّ تجذبُ كلَ شخصٍ في محيط المكان، أعينٌ تراقبُ بخلسةٍ حركاتِ أجسادهنَّ، و آذانٌ تختلسُ بعضاً من أحاديثهنّ، لم يكن أحدٌ من هذا الجمهور الفضولي، بالجنون الكافي ليلتقط لهنّ صوراً، لم يكن دافعي إلى ذلك أنني مخرجٌ سينمائي، و صناعةُ المشاهد والتصوير مهنتي، بل كانَ دافعي إلى ذلك هو هوسي بالعيون .

العيون التي تروي لكَ قصةً كاملة بثلاث ثوانٍ تلك التي تولد داخلها من جديد كلما نظرتَ إليها العيون التي تصلح لأن تكون وطناً دافئاً نستطيعُ اللجوء إليه عندما تخوننا الأوطان .

أطلتُ النظر إليها طويلاً، لم أكن مهتماً بأحدٍ غيرها، إلى حد أنني لم أتكلف عناءً في إخفاءِ صوتِ كاميرتي وهي تلتقط صوراً لها، كنت مجنوناً إلى درجةِ أنني بين كل صورة و صورة ألتقطها، أوجهُ بصري نحوها، متأملاً جمالها.

لم أكد ألتقط صورتين، حتى أخذنَ ينظرنَ إليّ، بسببِ الصوتِ الذي كانت تصدرهُ الكاميرا.

اقتربت منها إحدى صديقاتها، وهمست لها بضعَ كلماتٍ في أذنها، نظرت إليَّ بدهشة فأخذتُ ألتقط صوراً أوضح لعينيها، ازدادت الدهشةُ على وجهها،

و اقتربت مسرعةً إليَّ بغضب، لم أكف عن التقاط الصور، حتى أن يدها في الصورةَ الأخيرة كانت تحاول أن تأخذَ الكاميرا.

- هل أنتَ مجنون !؟

أومأتُ برأسي لها، بإشارةٍ مبهمة كأنني أقولُ لها: نعم، ولا.

أحسستُ أنها لم تفهم ما أعنيه، و لكي أخففَ من غيظها خاطبتها:

- تختلفُ نظرتنا إلى للجنون، باختلاف فهمنا للمنطق، الذي يدير عجلة هذه الحياة، و في الحقيقة أشعرُ أنني العاقل الوحيد في هذا المكان .

نظرت إليَّ بحدة، فأكملتُ، مقاطعاً نظرتها الحادة:

- الجنون هو أن أخرج من بيتي صباحاً برفقةِ كاميرتي، باحثاً عن الجمال، وأرى عينيكِ، ولا ألتقط لهما صوراً.

عندما بدأتُ مشواري اليوم، لم أكن أعلم نوع الجمال الذي سأحصل عليه، و لوأنني ظننت أنني سأصور البيوت الدمشقية القديمة، والياسمين المعرش على جدرانها، ولكن الاستثناءات تصادفنا دائماً، وتجبرنا على الارتجال، وارتجالي يجب أن يكون بحجمِ مساحةِ عينيكِ اللتين منحتاني بعداً آخر للجمال، لم يصل إليه أحدٌ من قبل .

قلت و أنا أحدق في عينيها مباشرة:

- يحدثُ بلقاء أنثى مصادفة أن أدخل التاريخ .

بدأتُ أشعر أنها لم تُعِر اهتماماً للوقت الذي تنفقه في الحديث معي،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

فصمتُّ لأمنحها فرصةً للتعليق على حديثي فقالت بنوعٍ من الاهتمام:

- ماذا تقصد!؟

أكملتُ ببرود:

- هل تظنينَ أنَّ القدر كان عادلاً عندما منحكِ هذا القدر من الجمال؟! أعلم أن الحياة ليست عادلة و لم تخلق لتكون كذلك، ولكن هناك مستويات من الظلم يمكننا القبول بها، أما جمالك عزيزتي يظلمنا.

أخذت الابتسامة تزين وجهها، فاستدركتُ:

- و لأعيد شيئاً من التوازن لمعادلة الحياة، اسمحي لي أن أوقف الزمن برهةً عندَ عينيكِ .

قالتْ بلهوٍ نسائي:

- أنت مجنون حقاً، لم أكن أظن أنني سأصادف مجنوناً مثلك .

أجبتها:

- هنيئاً لكِ إذاً، فلا أحد يستطيع أن يملأك بالحب، كما يفعل المجانين .

- هل يجب أن أكونَ مسرورةً إن أحبني رجلٌ مجنون؟!

ضحكتُ، وتابعت:

- لا أعلم بشأنِ بقيةِ المجانين، أما بالنسبةِ لي، فالأنثى التي سأحبها، لن يستطيع رجلٌ أن يضيف لها شيئاً، سأمنحها جناحين تغازلُ بهما الغيوم، و تُثير غيرة الملائكة .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

صمتُ برهة، منحت نفسي فيها فرصة للنظر طويلاً في عينيها.

- سيلينا !

- هذا اسمك أليس كذلك ؟

هل تعلمين أني كنتُ أبحث عنك دائماً؟!

ففي كلِ كلمةٍ كنتُ أقولها لأنثى كنتُ أعنيكِ، وفي كلِ نظرةٍ في عيني أنثى كنت أبحثُ عن عينيكِ، وبين كل أسماء النساء على هاتفي الجوال، كنتُ أحاول أن أجمع حروف اسمك .

كانت قد بدأت تصدق أنها التقت برجلٍ مجنونٍ حقاً، قالت وهي تضحك:

- هل من الممكن أن يحدثُ كل ذلك بهذه السرعة؟!

- الحب غير مرتبط بتسرب الزمن النسبي، يا عزيزتي

ليست كل علاقات الحب التي نمر بها وليدة النظرة، أو الابتسامة، أو العيون، هناك حب ينمو ويكبر داخلنا، حب عشناهُ منذ ألف عام، مع شخصٍ لم نلتقِ به قط، وعندما نجدهُ، نشعر أننا أحببناهُ منذ ألف عام .

❖ فتاةٌ كهذه، هكذا تبدأ علاقةَ حبٍ معها ❖

الفصل الثاني

لم أحببتَني !؟

بعدَ كل المعاصي التي ارتكبتها في الحب، كانَ لابدَ من غفرانٍ كبير ... أنتِ

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

متلازمة الحب

عيد الحب الأول لهما معاً، لم تسألهُ عن الهدية التي سيحضرها، لقد علمت أن شخصاً مثل آدم، سيهديها جزءاً منهُ يبقيه معها .

ما قيمة الهدية التي لا تذكرنا بصاحبها كلما نظرنا إليها؟!

ما قيمتها إن لم تكن جزءاً منهُ يكون بقربنا حقاً، نستطيع لمسه متى أردنا؟!

لذلك عندما نختار هدايانا، نتعمد أن تكون جزءاً منا.

الهدية هي قنبلة موقوتة في جوف الذاكرة، مجهزة للانفجار بمؤقت تدمير ذاتي، هو الفراق .

يكفي أن تقع أعيننا عليها عن قصدٍ، أو بدون قصد، حتى تنفجر ذاكرتنا إلى أشلاءٍ من دموع و حنين، تعيدنا إلى لحظة اللقاء الأول .

لم يكن مقصدهُ أن يشوه لها ذاكرتها الجميلة عند حادث فراق، بل أراد أن تكون هديتهُ ملاذاً آمناً لها في الذاكرة .

يهديها لأنها تستحق أن تُهدى تليق بكل شيءٍ جميل، لكن لا شيء يليق بها.

أمسكتْ بأصابعها الرقيقةِ بإطار تلك الصورة، وأخذت تتأملها بعناية، وردة مخملية بلون ساحر، تمسك بها يد فتاة في مقتبل العمر، قالت لي بنكهةِ سؤال:

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- هديتي؟

- نعم إنها الصورة الأولى التي التقطتها عند تخرجي من أكاديمية الإخراج السينمائي، كنتُ أحتفظ بها على جدار غرفتي، و لم أتخيل يوماً أنني سأتخلى عنها لأحد، على الرغم من كثرة الإلحاح للحصول عليها من قبل أصدقائي.

- و ما الذي تغير الآن هل بتَّ تكرهها؟!

- لا بل أصبحتُ أحبك أنتِ .

« ابتسمتْ بخجل» .

- لم أفهم إلى الآن رفضك لفكرة الهدية، لمَ تصر على أن تهديني، ولا تقبل مني أن أقوم بذلك تجاهك؟!

«بالنسبة لآدم، كان الخوف الذي سيطر عليه مذ فقد والده، بعد نجاحه بامتياز في شهادته الثانوية، قد جعله يشعر أن القدر لا يمنحنا مكافآتٍ أبداً، وأن ما يعطيه لك سيأخذ منك ما يقابلهُ، لكن بالسعر الذي يحدده هو، و قد يكون باهظ الثمن جداً !

الهدية في نظره كمينٌ يعدّهُ القدر ليأخذ منك ما يريد .

هذا الخوف هو الذي يمنع آدم من قبول الهدايا، حتى أنه كانَ يخشى من كلِّ ما يأتي دون مقابل .

قال لها محاولاً أن يحتال على سؤالها:

- لدي أنتِ . . . هل تظنين أني بحاجةٍ لهديةٍ أخرى؟!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- أتعلم يا آدم ؟ فكرتُ كثيراً لمَ أنا؟ ما الذي أمنحهُ لك و لا تستطيع غيري منحه لك؟ ما الذي لدي و ليس لدى الأخريات؟

- عيناكِ بعد كل المعاصي التي ارتكبتها في الحب كان لابد من غفرانٍ كبير مثلكِ أنتِ سيلينا.

نظرتُ في عينيها نظرةً طويلة، لم أُعِرْ فيها اهتماما للزمن، ثم تابعت:

- حاولت مراراً و تكراراً، أن أعيد بناء العالم ليصبح جديراً بعينيكِ الواسعتين، لكن عينيكِ تختزلان أبعاد مجرة، ولا يمكن تقييدهما بعالمٍ صغيرٍ كعالمنا .

تسلل الخجل إلى وجنتها قليلاً ، أكملتُ حديثي:

- أؤمن بشدة أن بعض العبارات الأدبية كانت قد كتبت لأشخاص لم يولدوا بعد، حيث تبقى العبارة أسيرة الخيال، حتى يأتي من يحررها و يحقق النبوءة، و عبارة الكاتب الفرنسي «فيكتور هيجو»: «حذارِ من النساء الجميلات فعندما تبدأ رقتهن تبدأ عبوديتنا»، خيرُ دليلٍ على ذلك .

هل تعلمين ؟؟ لقد اعتقدتُ أن عبارة كهذه لا مكان لها إلا في الخيال .

اعترضت حديثي:

- حتى ؟

- حتى رأيتك مصادفة بقميصٍ أسود مشغولٍ بحنان الفراشات، تساءلتُ حينها، كيف ينعم بكل هذا الحظ ليكون لصيقاً بكِ إلى هذه الدرجة؟! هل تظنينَ حقاً أن الأسود يليق بكِ !!؟

أجابني الخجل الذي احتل وجنتيها:

- الأسود دائماً يختارُ سادتهُ .

و كأنها كانت تريد أن تطرد الخجل الذي لون وجهها، فقالت:

- وما هي المعاصي التي ارتكبتها في الحب؟

«لم أعلم حقيقةً إن كانَ دافعُ هذا السؤال الهروب من الخجل، أم غيرةٌ نسائية فضحتها مفرداتي، واستثارتها عبارتي عندما قلت: «بعد كل المعاصي»، و إن كان دافعها هو الغيرة، فالسؤال الذي سيلي سؤالها هذا هو: «إلى أي حدٍ وصلت تلك المعاصي؟»

لكنها حتماً ستحتال في طرحه عليّ، فكرت في نفسي:

لا توجد علاقة حب ناجحة تبنى على الكذب، فالكذب يطرح آلاف التساؤلات، إنه يفقد الثقة عذريتها، يكفي أن يكذب عليك من تحبه مرة واحدة فقط، حتى يخلق داخلك حالةً من التهيؤ الدائم لكذبة أخرى، سيطلقها سؤالٌ منك عن ناحيةٍ مظلمة كان يريدها أن تبقى خفيةً عنك، لذلك تحدثتُ بصدقٍ أمامها:

- لا نستطيع أن نمنح كل علاقة حب ما نملكه تجاهها من عطاءٍ، إنها معصية، و كل حب لا يكون بحجم مشاعرنا هو معصيةٌ أيضاً.

جميعنا تمر به تلكَ اللحظة !

اللحظة التي نشعرُ فيها أننا بحاجةٍ إلى اهتمامٍ من نوعٍ خاص،

لا يمكننا الوصول إليه إلا بعلاقةٍ عاطفية، و أمام ضيق مجتمعاتنا وانغلاقها، تكون الخيارات أمامنا - في غالب الأحيان - محصورةً بأشخاصٍ محددين، فتصرخ حاجتنا العاطفية معلنةً ولادةَ حبٍ مشوه، لم يعش داخلَ قلوبنا أشهره التسعة كاملة، ولا يكون أمام هذا الحب إلا أن يموت، أو أن يبقى مشوهاً بقية حياته، وتحين ساعة نهايته عندما نستيقظ أمام سؤالٍ كان أمام أعيننا طوال الوقت، ولكن طالما تجاهلناه: هل هذا هو الحب الذي أردتهُ و بحثت عنه حقاً؟! لسببٍ معين، ستشعر أن هذا الحب أصبح بحاجةٍ إلى موتٍ رحيم، لكن أتعلمين؟ لا ذنبَ لنا في هذا الحب.

أنهيت جملتي، وسيلينا تحدق في عيني بإمعان، قالت لي:

- كلما تحدثتُ إليكَ، وسألتكَ عن شيء، امتلأتُ دهشةً بك، أنت تشعرني باستمرار أن الحياة كتابٌ، تجيد وحدك قراءته جيداً، أنت تتفرد بما تملك، لا شيء مما لديك موجودٌ لدى الآخرين، ماذا تفعل حتى تجعل العالم جميلاً هكذا؟!

- أنظرُ في عينيكِ

استدركتُ: سيلينا، هل هذا ما جعلك تحبينني ؟

- أحبك؟!

أحمقٌ يا سيدي من لم يكن مريضاً مثلي بمتلازمة.

أحمقٌ من قال بأن المتلازمات تكون حكراً فقط على داءٍ أو مرض في المجال الصحي او الطبي، ألم أخبرك بأن هناك متلازمة أماكن و مناطق، ومتلازمة أشخاص؟!

متلازمة كلماتهم، وجملهم، وأحاديثهم .

متلازمة كلام منطقهم المجنون، وجنون كلامهم المنطقي!

متلازمة التعثر بأصواتهم، متلازمة الحنين لعشوائية تفاصيلهم، متلازمة المشي على ماء ضحكاتهم، متلازمة الموت بهم حد الحياة .

الحب عندنا هو ثورة بائسة يحاول الجميع إخمادها لأنها طريق مجهولة طريق قد تأخذك لترافق الغيوم كالملائكة، أو قد تودي بك لتصبح رماداً للجنون .

لذا نسلك الطريق التي يسلكها الجميع بالابتعاد عنه .

الجميع طبيعيون ومعافون مما سبق ذكره من متلازمات، على عكسي أنا أحبك؟!

في الحقيقة لا . . .

أنا لا أحبك .

أنا مريضةٌ بك، وسعيدةٌ بهذا المرض، يتعب جسدي من فرطِ إدماني لك، لكن بعد كل لقاءٍ بيننا يصرخُ حبكَ داخل شراييني: ليسقط جسدكِ، و يحيى المرض .

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان
amer.suliman.92

- ألهذا الحد؟!

- آدم . . . في حياةِ كل فتاةٍ يمرُ رجلٌ واحد مثلكَ أنت، إن تمكن منها قلبها أحبتك بجنون، و إن تمكن منها عقلها أضاعتك بغباءٍ أنثوي، مغلفٍ بكبرياءٍ من الشمع، يذوب عند أول عريس يطرق باب منزلها، وواجبٌ عليها أمام مسرح مجتمعها، أن تقبل به، لأنه في نظر هذا المجتمع رجلٌ لا يُعاب، يمتلك تلك القائمة التي لطالما تشدق بها الأهل في حديثهم عن مواصفات الزوج المناسب لابنتهم، لكن هل تعلم ما هو عيبهُ الوحيد؟

أنهُ ليسَ أنت

الفصل الثالث

كيفَ امتلأتِ بكل هذه الأنوثة، بشكلٍ ظلم باقي النساء في هذا العالم؟! ...

يجبُ على النساء جميعاً اقتسامك، لكي يستعيد هذا العالم شيئاً من توازنه .

الشفاهُ تمنحُ فناجين القهوةِ هداياها

- كنت أنا أيضاً يا آدم أبحثُ عن الحب، لكنني حين رميتُ خارطتي و مشيت، لم يكن محض جنون، فما نفع السعي و البحث عما لا يبحث عني؟!

إن لم أتعثر بكنزي، ليجدني مصادفة، فهو كنزٌ ملعون .

الآن أعلم كم أنا محظوظةٌ، لأنك عثرتَ عليّ .

أخذتْ تنظر إليه، و هو يتأملها من أسفل لأعلى، مأخوذاً بأناقتها .

كان «آدم» و قبل كلِ لقاءٍ بينهما، يرسمها في مخيلته، ينتقي لها ما يظن أنها ستكون طاغية الأنوثة به، ثم يختار لها الزينة المناسبة من أساور جميلة، و يفكر أي عقدٍ سيكون محظوظاً اليوم ليرافقها في مشوارها، وأي خلخال سيعزف موسيقاه حولَ قدميها، و يختار لها أحمر الشفاه المناسب، ويفكر هل تطلق شعرها على كتفيها، أو تقيده بربطةٍ من ياسمين .

لكنه كان شديد الحرص على ألا يضع لعينيها أياً من مساحيق التجميل، لم تبلغ به جرأتهُ يوماً أن يقترب منهما حتى في مخيلته .

عيون كعيون سيلينا، يجب أن يقيم الرجل معها اتفاقيةَ سلامٍ دائم، لكن يبقى هنالك دائما ذلك المجنون الذي يقوده جنونه لخوضِ معركةٍ مع عينيها.

هي معركةٌ يرغب حقاً في خوضها، ويكون سعيداً دائماً بتكرارِ هزيمتها، فقد كانَ يعي جيداً أنَّ الهزيمة أمام أنوثتها رجولة .

حاول أن يدفع ثمنَ نظرته الطويلة إليها بالكلمات، فهمس لها:

- كيفَ امتلأتِ بكل هذه الأنوثة، بشكلٍ ظلمَ باقي النساء في هذا العالم ؟ يجب على النساء جميعاً اقتسامك، لكي يستعيد هذا العالم شيئاً من توازنهِ .

قالت ممازحةً:

- ألا تشعرُ أنك أنانيٌ جداً؟

- لا بأسَ بقليلٍ من الأنانية، حتى أنها تكون شيئاً جميلاً ،عندما يستخدمها عاشق، ليجعل حبيبته أميرةً على عرش النساء.

- أتخيل يا آدم، لو أن الرجال جميعهم أنتَ! ماذا سيحدث لهذا العالم؟

- و أنا أتخيل لو أن النساء جميعهنَّ أنتِ! كانَ هذا الكون سيصبح ثرياً بالأنوثة بشكلٍ يفيض عن حاجة كل الرجال .

عندما فرغا من مشوارهما معاً - وكعادةِ كل الرجال- أوصلها إلى منزلها، و هما في الطريق كان هو وحده ما يربطها بالأرض و يمنعها من أن تحلق عالياً، كانت تشعر أنها تمتلك جناحين حقاً .

الحب لا يمكنه أن يبقى صامتاً، إنه يفضح نفسه داخلَ أعيننا باستمرار، يولد صارخاً بما تتحدث به مشاعرنا و تخفيه شفاهنا، ويستطيع أيُ إنسانٍ أن يعلم بحبك بمجرد النظر إلى عينيك و هما تبتسمان،

لذلك، عندما دخلت سيلينا إلى المنزل كان من السهل على أمها، أن تعرف أن سيلينا تعيش حباً كبيراً، كذلك الحب الذي ربطها هي بوالد سيلينا، كانت سعيدةً لأجلها، سيلينا هي حتماً ثمرة حبٍ كبير، و إلا لما جاءت جميلةً إلى هذا الحد، صافيةً كماء البحيرات .

مضى آدم بعدها إلى موعده مع صديقه «جلال»، الطبيب الذي اختار تخصصهُ بعلم النفس، لهوسه بخبايا النفس الإنسانية، و لسبب آخر، هو أنه لا يحتمل رؤية الدماء أو شم رائحتها، و في الحقيقة حتى اختياره للطب كان نزولاً عند رغبة والده، فهو صديقه المفضل الذي تربطه به سلسلة ذكريات متصلة، من الطفولة، و حتى الشباب .

وصل آدم إلى منزل صديقه، قال لهُ ممازحاً:

- أرى أنك وجدت ذلك الحب الذي يجعلك تتأخر عن موعدك معي يا آدم، أنت الذي لطالما كنت تقدس الدقة في المواعيد!

- هناك مواعيد غرامية - يا صديقي- تستبيحُ عذرية المواعيد الأخرى .

- مرحى لسيلينا، استطاعت أن تمنحك جرأة التمرد على مملكة الوقت .

- بل أكثر من ذلك حتى، هي من علمتني العبث بالزمن، واللهو بعقارب الساعة، علمتني أيضا نوعاً جميلاً من الخيانة، خيانة موعدٍ يحدث للمرة الأولى لتكرارِ موعدٍ معها للمرة العاشرة لأحفظ ملامح وجهها عن ظهر حب .

عندما تراها تظن أنها أنفقت ساعاتٍ لتنتقي ما سترتديه من خزانة ملابسها،

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان
amer.suliman.92

لكنك عندما تعرف أنها لم تستغرق سوى ثلاث دقائق، ستعرف أنها فتاة تصادفها مرةً في هذه الحياة .

لا تشبه أحداً أبداً، تلك التفاصيل التي تحيط بأنوثتها تجعلها أنثى غير قابلة للتكرار، السلسلة الجميلة التي تزين معصمها، والملابس الحريرية التي تلف جسدها، والعفوية التي ترتديها في حديثها، و مشيتها، والضحكة الساحرة التي تلون وجهها، تخبرك أنّ هناك أبعاداً أخرى للجمال لم تعلم أبداً أنها موجودة، لم تسمع عنها إلا في أساطير فينوس و أفروديت .

جمالها ينبع من جوهر الأنثى داخلها من تقديرها لذاتها، من ثقتها بنفسها، من احترامها لشخصيتها، تفرض على كل رجلٍ يراها أن يطري على ذوقها في اختيار الألوان، و تجبر عينيك على الاستسلام للدهشة، عندما تقف أمامك بكامل أناقتها، و عندما تنظر بعينيها إليك تخبرك حقيقةً واحدة .

«أنوثتها ليست بحاجةٍ إلى شهادة تقدير من عينيك، لكن رجولتك بحاجة إلى شهادة تقديرٍ من أنوثتها» .

قال جلال و هو يتجه إلى «الستريو»، ويضع مقطوعةً موسيقية لبيتهوفن (موسيقى الحرب):

- أتعلم يا آدم : لم أسمعك تتحدث عن فتاة من قبل كما تتحدث عن سيلينا -ممازحاً- على الرغم من كثرة ما عرفت من فتيات.

- صحيح ، هل لازلت تتعلم الموسيقى؟!

- بالطبع و أعتقد أنه ليس هناك مجال للفصل بين ميادين العلوم الإنسانية فالمهندس، أو الاقتصادي، أو حتى الطبيب، بحاجة لأن يكون موسيقياً، ورساماً، وباحثاً في علم النفس، وإلا كان نتاج الحضارة الإنسانية جافاً خالياً من الروح والحياة، وهنا أتذكر ذاك القول:

(إذا كان كلُّ تفكيركَ بعملك كجرَّاحٍ، فسوف تكون جرّاحاً بالفعل) .

- أنت محقٌ جداً، وأثق أنك ستكون عازفاً رائعاً أيضاً ـ أما ما يخص حديثك عن سيلينا، فلن أدعك تفسد علي سعادتي، و لن أعير اهتماماً لسخريتك هذه

- لا أحاول أن أفسدها، لكن عندما يكون الإنسان متيماً بعلاقة حب، مهما حاولت إبعاده عن التحدث عمن يحب سيجد طريقةً ليعود إليه في حديثه .

«آدم بعينين مندهشتين»

- حقاً؟!

- أجل كالذي يحصل بيننا الآن (وضحك ضحكةً عالية)

«مضى الوقت سريعاً لم يشعرا به، وقف آدم وهو يتفقد ساعة هاتفه الجوال يتهيأ للعودة إلى المنزل، ونظر إلى جلال» .

- أتمنى أن تحب حقاً، لتشعر بجمال هذا العالم .

- لا تقلق، سأفعل حتماً، عندما أجد فتاةً كسيلينا.

«غادر آدم بيت جلال عائداً إلى المنزل، حيث يعيش وحيداً مع أمه، فقد توفي والده منذ سبع سنوات، كانت أمه هي رئته الثالثة، نافذته إلى الحياة،

الرحم الذي لم ولن يخرج منه أبداً . . .

دخل إلى المنزل كانت أمه قد أعدت له الطعام، بالتأكيد لا يوجد ألذّ مما تصنعه أمه، الحبل السري الذي أمده بالطعام مذ كان جنينا لم ينقطع أبداً، فأمه تحرص حتى حين يغيب ساعاتٍ طويلة عن المنزل، أن يكون طعامه معداً دائماً ـ ومهما تناول من طعام خارجاً ستبقى قطعة الخبز الصغيرة، التي يتناولها في البيت عند عودته هي التي تسد رمق جوعه، تناول الطعام كما لو أنه لم يتناول شيئاً منذ ثلاثة أيام، إنها النكهة الشهية .

صُنع هذا الطعام يتطلب قليلاً من المهارة، والكثير من الحب .

أنهى عشاءه، ودخل إلى غرفته، ألقى نفسه فوق سريره، بعد يومٍ مزدحمٍ بالمشاعر الجميلة .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

يومُ العاشق يمتدُ من لقاءٍ إلى آخر .

صادف أن لم يرها آدم ثلاثة أيامٍ متواصلة، هي حيلةٌ للعبث بسيمفونية الشوق

دو ري مي فا صول لا سيلينا

و بعد غيابٍ كهذا وحدها أزقةُ دمشق القديمة (باب توما - القيمرية - مقهى النوفرة - سوق الحميدية) جديرةٌ بأن يُعزف بين جدرانها لحنُ اللقاء، كان ينتظرها في مقهى يحمل نفس اسمها «سيلينا»، وصلتْ بعد دقائق قليلة، وقفت أمامهُ تلبسُ كنزةً بيضاء، و خفاً رياضياً، و نظاراتٍ شمسية، و تضع على رأسها قبعةً من أشعة الشمس، وهذا ليس شيئاً جديداً على طريقة سيلينا في الأناقة، إذ تصنعُ من أي شيءٍ ترتديه مهما كان بسيطاً لوحةً أنثوية، تسترق أعينَ الجميع .

قالت له:

- أعتذر عن تأخري .

- لا ـ إياكِ أن تقولي ذلك، الرجل منا ينفق عمره في البحث عن أنثى تستحق الانتظار، و عندما يعثر عليها يكون مديناً لها بهذا الانتظار ...

أنا فقط أسدد ديني

‹ابتسمتْ›

- هل الانتظار جميل؟

- فاتن ، حين يكونُ من أجلك

يعلم آدم بحب سيلينا لدمشق و لياسمينها، يعلم حبها المجنون لشوارعها القديمة، لذا اختارها لقضاء يومٍ مميز معها.

العلاقة بين سيلينا و دمشق، ليست علاقة بين فتاةٍ و مدينة، بل هي علاقةٌ بين فتاتين تتشاركان أشعة الشمس، و مذاق القهوة المميز كل صباح .

ترقصان سوياً تحت المطر و تلهوان معاً بقلوب العاشقين، فتاتان ولدتا من رحمٍ واحد هو «الياسمين» .

فتاةٌ كان يسكنها آدم هي دمشق، و فتاةٌ تسكنهُ هي سيلينا.

جلست على الكرسي، و وضعت دفترها الذي تحمله بيدها على الطاولة كانت تستدرج فضول آدم ليتناوله، و كعادته دائماً يقع سريعاً في الفخ، حملهُ بيده و نظر إليها.

- آخر ما كتبته؟!

«أغمضت عينيها مميلةً رأسها بدلعٍ أنثوي جميل» .

أخذ يقرأ آخر ما كتبَتْهُ

أسلوبها الجميل يجعلك ترافق أحرفها بحبٍ حتى السطر الأخير، تناولت سيلينا فنجان القهوة من أمامه، و أدارته، ووضعت شفتيها موضع شفتي آدم، و ارتشفت منه، كانت تمنح فنجان القهوةِ هديتهُ «آثار أحمر شفاهها عليه»، وآدم غارق في القراءة، لكنهُ كان يراقبها بطرف عينيه و يبتسم بحب استغرق في القراءة نصف ساعةٍ تقريباً كان يعيد كل مقطعٍ مرتين،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

كانت تظن سيلينا أنه يقرأ، لأنها تطلب منه ذلك، لكنه في الحقيقة أدمن كلماتها .

أغلق الدفتر، وقال:

- أنتِ تمنحين الكلمات ذاكرةً لها نبضٌ و روح، أنتِ مذهلة حقاً، أشعر أني محظوظ لأني أقرأ ما تكتبين، أشعر بالسعادة أيضاً.

- آدم ما قيمةُ حروفي إن لم تعانق عينيكَ قبلَ أن تسافرَ بين أعينِ الغرباء .

«كانت عيناه تلمعان و هو يحاول أن يحتوي أنوثتها داخلهما، كانت تنظر في عينيه مشدوهةً بما تراه، و سعيدة جداً بما تسمعهُ، قالت له:

أتعلم؟ لا أستطيع الكتابة إلا عندما أكون في دمشق، العام الفائت عندما سافرت خارجا لقضاء أسبوعٍ في بيروت، عند خالتي، لم أستطع أن أمسك القلم حتى، دمشق هي محبرتي .

- أعلم الآن لم تفوح من حروفكِ رائحة الياسمين .

- آدم لم آتِ إلى هنا لأجلس في مقهى، حتى و إن كان يحمل نفس اسمي قالتها بابتسامة كأنها تخبره أنها كشفت خدعته بلطف

ضحكَ بصوتٍ عالٍ، وأكملا هذا اليوم الجميل و هما يلهوان كطفلين تغريهما أزقة الشوارع، لا شيء كان يدل على هطول المطر، لكن لعلّهُ شغفُ السماء بموعد عاشقين، المطر الأنيق كان يعبث برتابة سيلينا، كانت تلهو تحت المطر، وضعت آدم في المنتصف،

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان amer.suliman.92

و أخذت تدورُ حولهُ كما تدور راقصةٌ حول كأسٍ من النبيذ، وفجأة توقفت و عينيها إلى السماء تراقب المطر، و الكحل يشكي للسماء حزنهُ بمفارقة عينيها، لكن لعل في المرور قرب شفتيها عزاء لهُ .

اقتربت سيلينا و احتضنتهُ، رائحة المطر والياسمين وسيلينا، مزيجٌ أنثويٌ فاتن، وككل الأشياء الجميلة انتهى سحر هذا اليوم .

عندما استيقظ صباحاً في اليوم التالي، و صورتها في مخيلته تمنح شفتيه ابتسامةً ساحرة، لا يمتلكها إلا من يستيقظ صباحاً، و هو يعلم أن هناك من ينتظره بلهفة .

اتصل بها. انتظر حتى سمع تنهيدة صوتها عبر الهاتف، وقال لها مباشرة:

- هل تعلمين أجمل ما يمكن أن يحدث لي في الصباح؟

- ماذا؟

- أن يبدأ يومي بسماع صوتكِ ليست الشمس من تعلن بداية اليوم و نهايته، إنها عيناكِ، هذا الكون يدور حولكِ يا سيلينا.

كان يشتم رائحة صوتها عبر سماعة الهاتف، و يشعر برعشة خجلها من اهتزاز حبالها الصوتية، أكمل حديثه:

- لا تنسِ الليلة الحفل الموسيقي في الساعة الثامنة .

- لا أعلم إن كنت سأذهب .

قالَ محتداً:

- لا- لن أقبل سنذهب سوياً، وسأمر لاصطحابك .

‹ضحكت›

- هل تتوقع أن أرفض دعوةً كهذه، لكني أحبُ أن أطيل حديثي معك .

- ليس عليكِ أن تتحدثي طويلاً لكي تسرقي وقتي، يكفي أن تقولي حرفاً واحداً، وهو سيسرقُ لكِ ما شئتِ من الوقت .

«كانت تضحكُ بلهو فتاة صغيرة من خلف سماعةِ الهاتف»

« شعرَ بسعادةٍ كبيرة، هل من الممكن أن يكون الرجل محظوظاً أكثر من ذلك؟! أن تذهب إلى حفلٍ موسيقيٍ راقص، برفقة قيثارة سحرية، وحدك تملك النوتة الموسيقية لتعزف على أوتارها، أنهى مكالمتهُ الهاتفية، وبدأ يفكر بهذه الليلة الجميلة، أي بزَّة سيرتدي؟ أي بزة سيبدو أكثر جمالاً بها؟ إن كانت هي سيدة النساء بالفطرة فيجب أن يكون هو سيد الرجال بالضرورة» .

شعر آدم أن عقارب ساعته قد قفزت من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة السابعة مساءً، ارتدى بزَّته السوداء، لطالما كان الأسود لونه المفضل .

«الأسود لون واضح جداً ليس بحاجةٍ إلى تركيبة من الألوان لكي يبوح بمحتواه يختاره آدم لأنه يشبههُ في وضوحه و جرأته، وصل إلى المطعم قبل نصف ساعة من موعده مع سيلينا، كان يتعمد أن يصل باكراً، كي يسدد انتظاره، و لكي يتسنى له الوقت في توقع ما سترتديه، وإن كان يخفق دائماً، فهي تفاجئهُ بأناقتها الفائقة،

لكن لا بأس من المحاولة كان يعلم أن أكثر النساء جاذبية، تلك التي تكون عصية على فهم الرجال» .

وصلت سيلينا إلى المطعم، ترتدي فستاناً أحمر ساحراً، يبدو على جسدها وكأنه يعتني به، يلاطفه، يغازله، يثير حسدَ كل الرجال عندما تمر بهم .

نظرات الجميع كانت ترافقها منذ أن دخلت باب المطعم، ونظرات الرجال تتبعها بفضول، ممزوج بكثير من الحسد، فمن هذا الرجل المحظوظ الذي سيرافقها هذه الأمسية؟ أما النساء فكانت نظراتهم بدافعِ غيرةٍ نسائية على رجلٍ وسيمٍ كآدم .

سارت سيلينا في رواق المطعم كما تسير ملكةٌ بين الجماهير، الجميع يهتفون لها بأعينهم، وهي تعلم كم هي فائقة الجمال، و تعلم أنها عندما تحب رجلاً كآدم يجب أن تهتم بأنوثتها من أجلهِ، فكل رجلٍ تدل عليه أنثاه .

الفصل الرابع

لستِ بحاجةٍ إلى عدسةِ مصور، ولا لريشة رسام، ولا لأحرف شاعر، يكفيكِ همسُ المرايا.

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

في ضيافة الموسيقى

‹ وصلتْ إلى طاولة آدم، تعمدتْ أن تصل في موعدها تماماً، كانت تريده أن يبقى مديناً لها بالانتظار .

وقف آدم و أمسك بيدها، و أجلسها على كرسيها، قالت له و هي تبتسم :

- لم تنجح حيلتك أليس كذلك؟!

‹ابتسم، واستدرك كمن يحاول أن يخفي آثار هزيمته:

- يجب أن يمنحني الله حياتين كاملتين، حياة أعيشها مثل الجميع، وحياة أنتظر بها سيلينا.

- تصبحُ شاعراً دائماً عندما تكون معي يا آدم، مهما حاولت أن تبدو بسيطاً في اختيار مفرداتك .

- أنا معكِ بحاجةٍ دائماً إلى أبجديةٍ جديدة، أبجدية لا يتحدث بها أحدٌ سواي، ولا يفهمها أحدٌ سواكِ، كي لا يكون فيها شعراء يسبقوني بقول ما أريد من قصائد.

لو تطلب الوصول إلى عينيكِ كتابة ألف قصيدةٍ غزل لفعلت

‹ احمرت خجلاً فقط، فهي عزلاء أمام الغزل الذي يمطر بأنوثتها، يكفيها أن تنظر بعينيها إليه فتميل الكفةُ لها .

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

قاطعت حديثهما أغنية: « Demi lovato – I will Survive »

‹ الأغنية المفضلة لديهما، الأغنية الأولى التي رقصا سوياً على أنغامها، وقف آدم و خلع سترته و مدَّ يده إليها ›

- تسمحين لي بهذه الرقصة؟!

‹ ابتسمت لهُ و مررت أصابعها الرقيقة إلى يده، سارا معاً إلى وسط القاعة، لقد كان الجميع يتلهف لمشاهدتهما يرقصان، بدأ يرتفعُ صوتُ الموسيقى، تسارعت خطواتهما، كانت تبدو سيلينا ك قيثارةٍ في يدِ عازفٍ تتمايل مع الموسيقى بانسيابية لطيفة، لم يكن يراقص فتاة بل قطعةً من الحرير .

دخلا عالمهما الخاص، تجاهلا الجمهور، و كل العيون التي كانت تطوف حولهما، و لم يبقَ إلا صوت الموسيقى، همست له في أذنه:

- كيف أبدو في هذه الليلة؟

- فتاة هاربة من لوحةٍ معلقةٍ على جدار قصرٍ إسباني، تمزجين الجمال و اللامبالاة معاً ، أنتِ هبة وصلت إليّ عندما ابتسم لي القدر.

- كم أنا سعيدةٌ بك، عند نهايةِ هذه الأمسية ستلتقط لي صوراً، ألا أستحق أن يصورني مخرجي العظيم؟!

- سيلينا لستِ بحاجةٍ إلى عدسةِ مصور، و لا لريشة رسام، ولا لأحرف شاعر يكفيكِ همسُ المرايا

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- مع رجلٍ مثلك، أنوثتي تطمع بالمزيد دائماً.

‹ انتهى الحفل الموسيقي، أخذ آدم سيلينا في سيارة جلال التي كان قد أخذها منه هذه الليلة، وعندما وصلا إلى ناصيةِ الشارع المطل على بيتها توقف، لحظةٌ جميلة كهذه يجب أن يمنحها وقتاً كافياً .

آخذ يتأمل شعرها المسدل على كتفيها كشالٍ مليءٍ بالنجوم و عينيها الخضراوين الجميلتين تستحتضر الصباح الى أعماق أعماق الليل .

سيلينا من ذلك النوع من الفتيات، الفتيات اللواتي عندما تعثرُ على واحدةٍ منهنَّ تشعرُ أنكَ عثرتَ على كنزٍ من السعادة .

همسَ لها:

القدر يضع على رصيف أيامنا هدية، يصادف أن تكون هذه الهدية حباً جديدا يلملم شظايا الروح و يعيد ترميم السعادة في قلوبنا ، علينا فقط أن ننتبه لوجودها و نعلم كيف نلتقطها بأصابع من الاهتمام و نحتضنها بكل مشاعرنا و ننظر لها بعينين من اللهفة

ابتسمت لهُ بأنوثة و هي تغمزهُ بعينيها:

و ها قد حظيتَ انت بهديتك

نزلت من السيارة، والتفتت إلى آدم وودعته بعينيها، ودخلت إلى منزلها وهي تحسد نفسها على عاشقٍ كآدم .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الحب الذي يأتي مرةً في العمر وضعَ نفسه بين قلبي آدم و سيلينا، فكرت سيلينا ملياً كيف ستربطهُ معها برباطِ حبٍ مقدس، ثم قررت أن تكسر كل حدود العلاقة بينهما، ولكن كيف تستدرجه إلى فخٍ نسائي يقعُ فيه دون أن توقفه حواجز الخوف والتردد التي تسكنه؟

«الآن هو وحيدٌ في المنزل بعد أن سافرت أمهُ لقضاء يومين عند أختها، ولا يوجد ما يمنعني، سأخبره أني أريد أن أطهو له، و ستكون تلك الليلة رباطنا المقدس معاً» .

رتبت لكلِ شيء فكرت في التفاصيل الدقيقة لتلك الليلة الموعودة باستثناء ما ستطهو له، كما اتصلت بصديقتها، ورتبت معها غيابها عن المنزل، وأخذت مفاتيح منزله قبل موعد العشاء، فهو لن يصل قبل الساعة الثامنة مساءً ، ذهبت إلى المنزل و انهمكت في إعداد العشاء، عندما فرغت ارتدت فستانها الاحمر ذاته، لقد حولت سيلينا المنزل الصغير إلى قصرٍ دافئ يشتعل بوهج الحب .

دخل آدم المنزل على موسيقى أغنية « Hello »، ابتسم كما لو أنه يبتسم للمرةِ الأولى في حياته- حبهُ لها منحَ ابتسامتهُ جسداً و روحاً جعلاها تطير كفراشة وتحط على أذنها و تهمس لها: «أحبك» .

‹ كم كان الوقت عاجزاً ليمنحهُ ما يحتاجه لكي يتأملها، مدت لهُ يدها تدعوه للرقص على أنغام الأغنية، قال لها بكثير من اللهفة:

- إن لم أفعل شيئاً في حياتي، فسأقول: ذات يومٍ راقصتُ سيلينا.

ضحك ضحكة عالية .

تابع: كم وددتُ أن أهديكِ طوقاً من الألماس

- يكفيني أن تطوقني ذراعاك .

‹ تسللت الأغنية إلى همسهم ›

I've been alone with you inside my mind

لقد كنت وحيداً، وعقلي مشغول بك

I sometimes see you pass outside my door

في بعض الأحيان أراك خارج بابي

Hello, is it me you're looking for

مرحبا : هل أنا ما كنتِ تبحثين عنه؟

I can see it in your eyes

أستطيع أن أرى ذلك في عينيك

I can see it in your smile

أستطيع أن أرى ذلك في ابتسامتك

,You're all I've ever wanted

أنت كل ما أردته يوماً

and my arms are open wide

و ذراعاي مفتوحان على اتساعهما

Cause you know just what to say

لأنك تعلمين تحديداً ما تقولين

And you know just what to do

و تعلمين تحديداً ما تفعلين

And I want to tell you so much, I love you

و أريد بشدة أن أقول لك: أحبك

I long to see the sunlight in your hair

أتوق لرؤية ضوء الشمس في شعرك

And tell you time and time again how much I care

و أقول لك مراراً و تكراراً ،كم أهتم

Sometimes I feel my heart will overflow

أحياناً أشعر أن قلبي سيفيض

Hello, I've just got to let you know

مرحبا. أريد فقط أن أقول لك

Cause I wonder where you are

أنني أتساءل أين أنت؟

And I wonder what you do

و أتساءل ماذا تفعلين؟

Are you somewhere feeling lonely

هل أنت في مكان ما تشعرين بالوحدة

or is someone loving you

أم هناك شخص أخر يحبك؟

Tell me how to win your heart

قولي لي كيف أكسب قلبك

For I haven t got a clue

فليس لدي أدنى فكرة

But let me start by saying, I love you ...

و لكن اسمحي لي بالقول إني أحبك .

أنهيا رقصتهما، أزاح آدم الكرسي لها لتجلس عليه، فهي أميرة هذه الأمسية، أمسيةٌ غراميةٌ تفتح الابواب لحدوث كل شيء،

اخذت تسكب له في طبقه و الافكار تلتهم مخيلته من الداخل، «انا عاجزٌ تماما امام انوثتك، لكنني احافظ عليكِ من نفسي ايضاً اليس هذا هو جوهر الحب يا سيلينا»

احست بارتباكه الذي جعله يطيل النظر في تلك المائدة لم يعلم انه استدرج الى فخ نسائي (الاضواء الخافتة، ساعة الحائط، اللوحة المعلقة على الجدار، الشمعات الثلاث بلونها الاحمر)، كل شيءٍ في ذلك البيت كان يشهد على فداحة الهزيمة التي مُنيت بها رجولتهُ امام انوثتها.

يعلم آدم أن كل ما هو جميلٌ في حياته مرتبطٌ بها.

أن مركباً تحركهُ شراعُ القدر القاسية ليس مكاناً لها و أن طموحهُ الكبير بأن يصبح مخرجاً يحمل في جيناتهِ سرطان الفراق، و أن ايقونةً كسيلينا تستحق أن تحصل على حياةٍ أجمل، كان لفرطِ أذيتهِ في نفسهِ يشعرُ أنَّ عينيها ترفٌ لا يحقُ له .

امضيا الأمسية و هما يستمعان للموسيقى فقط و في صبيحة اليوم التالي غادرا المنزل معاً و آدم يعلم أن هناك شيئاً لم يعد كما كان من قبل وأمضيا الأمسية و هما يستمعان للموسيقى .

عندما تمنحك فتاة حبها، هذا يعني أنها منحتك ثقتها أيضاً، ما عليك إلا أن تقبلها على رأسها، وتنظر في عينيها نظرةً لا تعير فيها اهتماما لتسرب الزمن فيها، فإن أصدق الوعود و أعظمها، تلك التي تمنحها العيون .

الفصل الخامس

إياكِ أن تحبي شرقياً بعينينِ واسعتين

عيناه الواسعتان ستخبرانك بأكثر مما تودين أن تعرفي

العيون التي تخبرنا أسرارها

وحيدةً جلست على تلك الطاولة، برودة قلبها امتزجت مع برودة المكان، وصقيعٌ من المشاعر- تراقب ساعتها -تغتالها العقارب التي تسير على مهلٍ، فقدت الإحساس بكل ما يحيط بها، هذا ما يفعله الانتظار، يشوهنا من الداخل ، يجعلنا نفقد الإحساس بالأشياء، هو لم يتأخر عن موعده بعد، لكنها علمت أنه سيتأخر عن ذكرياته القادمة معها.

بعد بضعِ دقائق دخل آدم و جلس أمامها، وضع هاتفه النقال على الطاولة، و خلع نظارته السوداء، نظرَ نظرةً سريعة إلى عينيها، تحاشى النظر إليهما طويلاً في هذا الموعد تحديداً، يريد أن يتخذ قراره دون أيّ تأثير عليه، فلطالما كانت عيناها أجمل أسلحتها، يكفي أن تنظر إليه عشر ثوانٍ، و سيخسر كل شيء، تذكر عندما كانا يجلسان على الطاولةِ ذاتها، عندما قال لها يوماً:

«لا تغفري لرجلٍ لا يعلم حدود عينيكِ» استدرك حينها خطأه سريعاً.

- لا تغفري لي لأني قلت أن لعينيكِ حدوداً.

‹ الآن يختبر معنى تلك العبارة بنفسه، لا يوجد مكان في الدنيا يستطيع فيه أن يهرب من عينيها

باغتته بأول أسئلتها:

- لماذا تأخرت؟

‹ أجابها مستغربا بعد أن نظر إلى ساعته ›

- خمسُ دقائق !!!

و بدأت رحلة الحقيقةِ في عينيه، للمرة الأولى تمنت لو أنها لم تنظر إلى تلك العينين الواسعتين، تقرأهُ سطراً سطراً، فاجأتهُ .

- لماذا؟!

نظر عبر الزجاج و عاد بعينيهِ إليها

- لم أفهم؟

- آدم أنت كما أنت، لم تكن ولن تصبح يوماً بارعاً في الكذب، عيناكَ تفضحانك دائماً.

كان يدورُ داخلهُ تساؤلٌ واحد.

هل هي لعنةُ العيون الواسعة التي لا تترك لصاحبها حتى حيزاً صغيراً للكذب، لا تترك له فرصةً للنجاة من المآزق الغرامية أبداً.

كانت الطاولةُ التي يجلسانِ عليها أبردُ بقعةٍ على هذا الكوكب، عندما سألها و هو يتأمل قهوته:

- ماذا سيحدث لكِ لو رحلتُ؟!

‹ شعرت سيلينا أن هذا السؤال تسللَ من فنجانِ قهوتهِ الخالية من السكر إلى شفتيه، و إلا لما كان مراً إلى هذه الدرجة، وأجابتهُ بصوتٍ تخنقهُ الدموع:

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- في البداية ستزول ابتسامتي شيئاً فشيئاً، و بعدها سأنام لساعاتٍ متواصلة، و سأهجر هاتفي النقال لساعاتٍ طويلة، لأنني سأعلم حينها عندما يرن هاتفي أن المتصل لن يكون أنت، و أن أيّ رسالةٍ تصلني لن تكون منك .

مع آخر كلماتها سقطت دمعةٌ من عينيها، سارت ببطء على خدها، لم تحاول حتى أن تمسحها بأصابعها الرقيقة، كانت تريد أن يراها آدم ليشعر بالذنب، و لتكون هذه الدمعةُ شاهدة عليه، قال لها:

- لأجل كل شيء !

أنا رجلٌ مصيرهُ لعبةٌ تلهو بها الأيام .

- آدم كل ما حاولت أن أهدم قصر أحزانك أحظى بفشلٍ أكبر من سابقه، فلم أنت بارعٌ إلى هذا الحد في بناء الحزن؟!

- لأن كل كوخٍ للسعادةِ كنت أحاول بناءه يهدمهُ القدر ببراعة .

- إحدى سمات الحب الحقيقي هي القدرة على استيعاب الحزن، وتحويلهُ إلى سعادة، أن أخذَ كلَّ ما هو ملوثٌ بالحزن لديك و أعيدهُ لك مغلفاً بالسعادة، ألم أردد على مسامعك ذات يوم: إذا جاءك الفرح اغفر له غياباته السابقة و أدخله .

قاطعها:

- كل حفلةٍ كان يقيمها الحزن، كان يدعوني إليها، كيف لي أن أخونهُ؟!

- مزهواً بحزنك دائما كما عرفتك . «تنهدت بيأس»

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

« أطلق آخر رصاصاته عليها»

- سيلينا. . . سأسافر.

‹ كمٌّ هائل من مفردات الخوف واللهفة والقلق، تتزاحم على شفتيها›

- لماذا؟ إلى أين؟ متى ؟ كيف اتخذت قراراً كهذا؟ ألم تفكر بي؟

‹ بعدَ تنهيدةٍ طويلة شقت صدره ›

- كتب أمين معلوف ذات مرة: متى تعلم أنك تائه؟

عندما تكون في بلادك، وعيناك ترنو إلى بلاد أخرى

عندما تكون في بلادك، وعيناك على مستقبلٍ بات مستحيلاً

عندما تكون في بلادٍ أخرى، وعيناك ترنو إلى بلادك

عندما تكون في بلادك، وعيناك على ماضٍ لن يعود .

أشعرُ بالضياع كما لم أشعر بهِ من قبل، ضياعٌ يبتلعني من الداخل كثقبٍ أسود.

قالت لهُ بعد أن أوشكت أن تخنقها الدموع .

- و أنا؟!

- سيلينا أنت ابنة وحيدة لأبوين يحبانك كثيراً ، تحبين دمشق، ودمشق تحبُ طفلتها المدللة، لن أكون ذلك الرجل الأناني الذي يخطف وردةً من حديقتها.

عندما تحدثنا ذات يوم عن السفر قلتي لي أن السفر مفزعٌ بالنسبة لكِ .

- لكنهُ من أجلك يصبحُ خياراً يمكنني التفكير به .

- لا . . . لم أكن يوماً أنانياً في علاقتي معك، و لن أكون كذلك اليوم،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

قلت لي أن دمشق محبرتك، منها تستمدين كلماتك .

أخشى على رحم كلماتك أن يصبح عقيماً بعيداً عن لقاح الياسمين، نحن نفترق الآن لأجلك، ما يحدث في وطني لا يترك لي خياراتٍ كثيرة، رقعةُ الدم تتسعُ أكثر كل يوم .

قالت له بحدة:

- تريد أن تنجو بذكرياتك أليس كذلك!؟

- لم أكن جباناً يوماً لأتخذ خياراً بالهرب، عندما تحتاج ذكرياتي أن أدافع عنها سأكون هنا، أعدك بذلك .

‹ أكمل كلماته، وأخذ ينظر إليها كمجرمٍ يتلصصُ على ضحيته، كانت عيناها تحبس دموعها كغيمةٍ شتوية داهمها الربيع باكراً .

كيف يمنع تلك الدموع من السقوط، عيون بحجم مساحةِ عينيها إذا ذرفت دموعاً حتماً، ستغرقه في طوفان هذا الفراق. قالت سيلينا:

- لكنني سأشتاق لك و لن أحتمل بُعدكَ .

نظر إلى ساعته، لم يعتد أن يرتدي ساعةً أبدا، لم يكن الوقت ما يعنيه قط، لكنه في هذا الموعد خصيصاً، وضعها على معصمه، كان يبحث عن ملجأ من عينيها عندما تقول له ذلك، و علمَ أن عقارب ساعته ستفي بالغرض .

وقفت سيلينا، ولملمت بقايا حاجاتها عن الطاولة المشؤومة ومضت، لم تنظر خلفها أبداً.

تذكرت و هي تخرج من باب الكافيتريا أنه قال لها ذات يوم: «أنا شرقي»، لكن وقتها لم تعِ كلامهُ جيداً و الآن تلمع في خاطرها تلك الكلمات التي قالتها لها عجوز ذات مرة: «الرجال لا يشتاقون لأحد، هم فقط بارعون في الرحيل» غادرت دون أن تلتفت إليه، أخذ آدم يراقبها، كان يريد أن يأخذ من عينيها وعداً.

« عديني ـ عديني أننا سنلتقي مهما تآمر علينا الغياب» .

لكنها لم تفعل .

أخذت تسير ببطءٍ شديد، كان بإمكانها أن تسلك الطريق المختصر إلى منزلها، لكنها اختارت ذلك الشارع الطويل الذي كان يغريها دائماً ـ لصٌ بارعٌ يسرق لها بضع دقائق من خزانة الوقت، ويهديها إياها، اعتادت بعد كلِ لقاءٍ معهُ أن تنفقها بالتفكير بعينيه، لكنهُ اليوم، يجب أن يكون لصاً عظيماً حتى يسرق لها بضع ساعات تحتاجها حتى تخفي آثار الدمار الذي خلفه إعصار الفراق، لم تكن تعلم ما كان يشعر بهِ آدم في تلك اللحظة، حتى إنها لم تفكر بساعته التي كان يرتديها أول مرة، و لا بنظارته السوداء في هذا اليوم الغائم، تركيزها كان منصباً على تلك الكلمات التي ستنطقها شفتاه .

كانت مخطئةً تماماً، فالرجل تشي بهِ أدواته العاطفية التي يحضرها إلى موعده، و لن تشي به أحرفه أبداً.

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

آدم هيئ نفسه جيداً لجحيم هذا اللقاء، لم تعلم سيلينا أنه أحضر تلك النظارة السوداء كي يخفي دموعه عن أعين المتلصصين في ذلك المقهى عندما تغادرُ آخذةً معها شيئاً منهُ خبئهُ داخل عينيها سيظلُ ينقصهُ إلى الأبد .

عندما تحب شخصاً بشغف كلما التقيتَ به منحته جزءً منك دون أن تعلم، حتى إذا ما حانت لحظة الفراق شعرت كأنك تفارق نفسك، كان حقاً يفارق نفسه .

لم تكن سيلينا تبالي بالوقت حتى إنها لم تنتبه إلى المساء الذي داهمها، وهي تتأمل في هذا الطريق كل شيء و كأنها تمرُ به للمرة الأولى، و كعادتها استوقفتها عناوين الروايات في واجهة إحدى المكتبات:

فيرونكا تقرر أن تموت - باولو كويلو

ذاكرة الجسد - أحلام مستغانمي

مئة عام من العزلة - غابرييل غارسيا ماركيز

البحر يحاكم سمكة - غادة السمان

عاهرة و نصف مجنون - حنا مينا

الجريمة و العقاب - ديستوفسكي

أحدب نوتردام - فيكتور هيجو

و العنوان الذي استوقفها طويلاً : «أحببتك أكثر مما ينبغي»

للكاتبة: أثير عبد الله النشمي .

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان amer.suliman.92

لعلني فعلاً أحببتكَ أكثر مما ينبغيمنزلي كم أخاف منك اليوم، أخاف أن تحاصر غرفتي و تستنطقها عني، عن تفاصيلي الصغيرة عن بقايا حياةٍ لملمتها عن طاولة فراق، أخاف أن تعذبني عزلةً ووحدة .

عندما تقف على عتبة باب منزلك و أنت ممتلئٌ بالبكاء، محملٌ بألمِ لقاءٍ أخير يحمل تفاصيل الفراق، ستكون معاناتك في بضعةِ أمتار تفكرُ بعمقٍ كيف ستعبرها للوصول إلى غرفتك دون أن يستوقفك أحدٌ من عائلتك، تخشى من سؤالٍ قد يحطم اتزانك المصطنع، و يفجر ينابيع الدموع داخلك، ويحدث أن تشي بك دموعك لتبدأ بعدها جلسة استجواب .

- متى و أين التقيتِ به؟

- على ورقةِ تقويم، في غفلةٍ من روزنامة الأيام .

‹ كل هذا دار داخل مخيلتها و هي تُدخل أسنان مفتاحها في باب المنزل .

و نسيت كل ذلك بعد أن عبرت بسرعةٍ إلى غرفتها، وخاطبتها:

«غرفتي ـ كم تبدين لي مختلفةً اليوم!»

‹ لا أعلم لماذا في لحظات الفراق أياً كان سببه: الحب، الموت، الغياب، يبدو كل شيء مختلفاً بشكلٍ مفزع، تشعر أن كل حاجياتك الخاصة و ملابسك التي كنت ترتديها في لقاءاتك تبكي معك، وتقنع نفسك كلَ بضعِ ثوانٍ أنك في كابوسٍ مزعج، ستستيقظ منه في أي لحظة .

تمر الساعات، و تستمر معاناتك،

و كل لحظةٍ تمر تخبرك أنك تعيش واقعاً مريراً، عليك أن تبني جسراً من الدموع كي تعبر فوقه إلى النسيان .

‹فتحت خزانتها، وجدت قميص آدم المعلق داخلها كلافتةٍ تعدها بليلٍ مليءٍ بالألم .

أخذت قميصه، وألقتهُ على سريرها، وأخذت تتحسسهُ بأصابعها الرقيقة، تتحسس ياقتهُ، وموضعَ أزراره .

وحشية الفراق تقتل دائما كل ما هو جميل في الهدايا، وتضع في جيناتها الرغبة في القتل، و الرغبة في جعلنا أسرى للدموع .

تحدثت كما لو أن آدم جالسٌ في الغرفةِ ذاتها، يراقبها:

- أرهقتُ نفسي في استجداء لمساتِ أصابعك من ذاكرةِ قميصك، الذي أهديتهُ لي ذات يومٍ عندما كنتَ تتباهى أمامي بأن هكذا يعشقُ الرجال، و الآن لم تعد على هذا القميص حتى رائحتك .

كنتَ محقاً عندما قلت لي أن ذاكرة الثياب لا تحتفظ إلا برائحة العطور.

‹ نظرت إلى الساعة المعلقة أمامها على الجدار، كانت تشعر أنها تغيظها بتكات عقاربها، التي تهمس لها بسادية أن الليل أقصر بكثير من أن يكون كافياً للنسيان، قالت بصوتٍ من الحزن و الخيبة:

- ما حاجتي بكل هذا المساء؟

أحتاجُ فقط لثلاثين دقيقة لأبلل وسادتي بدموع خيبتي بك، وأضع رأسي عليها، وأغمض عيني على صباحٍ جديد، خالٍ منك، لقد ذرفتُ دموعاً أكثر مما يليق بأنوثتي يا آدم . . . لن أغفر لك!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الفصل السادس

كل يوم يمضي وأنت لا تسير بهِ نحو حلمك، يكبُر عاماً كاملاً، و يبتعد عنك عاماً كاملاً.

❖ الأحلام لا تعيش طويلاً في قائمة الانتظار.

❖ الأحلام تشيخ باكراً .

الأمنيات التي تسكن رحم الأيام

للصباح أسلوبه في إثارة الأمنيات، قد تكون أمنيات وضعها المساء ببراعة لص، ليتعثر بها صباحنا، وقد تكون أمنيات اعتادت أن تتأملنا بخلسةِ عاشق، ونحن نرتشف فنجان قهوتنا الصباحية، وقد تكون أمنيات علينا أن نبحث عميقاً في الذاكرة حتى نجدها.

هل صحيح أن كل شيء في هذه الحياة يبدأ بفكرة؟

عندما كنتُ صغيراً كنتُ أكثرُ اللهو بطائرتي الورقية، أطلقها في السماء و أتأمل كيف يداعبها النسيم، أنظر حينها في عينيّ أمي، أراهما واسعتين تحتويان هذه الدنيا، أفكر دائماً ما الذي أحتاجه، أو حتى أريده ولا أجده في عينيها؟

كنتُ أسخر من الكبار عندما أسمعهم يقولون: لا يوجد شيءٌ كاملٌ في هذه الدنيا.

- إنهم لا يعرفون شيئاً- فماذا عن عيني أمي!؟

كم كانت عيناكِ واسعتين يا أمي .

كنت أقول لها دائماً: « أمي أريد أن أطير مثل تلك الطائرة الورقية .»

كانت تجيبني بابتسامةٍ جمالها يصنع دافعي إلى الحياة حتى الآن .

- ستكبر يا صغيري و تسافر، و سأعلم حينها أنك لم تعد بحاجةٍ إليّ .

حسناً لقد كبرتُ الآن آهٍ يا أمي لو تعلمين كم أحتاج إليكِ؟

لو تعلمين أني كلما كبرت كلما زادت حاجتي لكِ، هو جوعٌ دائمٌ لحنانِ الأمومة، والآن بعد أكثر من عشرين عاماً أصبح الطفل شاباً، و حان موعد السفر يا أمي، نظرت في عينيها، قالت لي بابتسامةٍ تخالطها الدموع :

- أضروري هذا السفر؟

- عندما نكون صغاراً، قدرتنا على الحلم تكون أكبر بعشرات المرات، كنا نستطيع أن نحلم بالطيران، ونتحدث مع العصافير، تعلمين لماذا؟

لأن الواقع لم يكن قد روض أحلامنا بعد ، الحلم الوحيد الباقي من طفولتي هو أن أصبح مخرجاً كبيراً .

كلُ يومٍ يمضي و أنا لا أسيرُ به نحو حلمي يبتعد عني عاماً كاملاً، و يكبرُ عاماً، يجب أن أسافر فالأحلام تشيخُ باكراً يا أمي .

و صوتُ الرصاص الذي يعلو الآن في وطني، يُسكت آمالنا بحياةٍ جميلة، و رائحةُ البارود تخنق أحلامنا شيئاً فشيئاً.

«بدأ وجه أمه يتشحُ بالحزن»، أكمل آدم:

- إن أردتِ أي شيء فقط هاتفيني، سأتصل بك من رقمي الجديد هناك حالما أصل .

- لا لن أحتاج شيئاً ، أقصى ما تستطيع أن تمنحني إياه الآن هو أن تعتني بنفسك .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

« تأمل غرفته، سريره، جهاز التلفاز، طاولة المائدة» .

السفر يدفعك لتحتفظ بالأشياء بمشاهد تذكارية للحظاتك الأخيرة معها، بقيت لديه بضعُ دقائق سمح لنفسه فيها بالتفكير بسيلينا مرةً أخيرة .

يحدثُ أن تسير في الشارعِ و تصادفُ انساناً يشبهكَ حد الكمال ، تشعر بالشوقِ و اللهفة ، الفرح ، الأمل .

تعيشُ حياةً كاملة في نظرة واحدة و في زحامِ هذه المشاعرِ ، صوتٌ يهمسُ عميقاً داخلك كطنينِ هاتفٍ مغلق هذا الحب ليس من الممكن أن يكونَ حقيقياً أو بالأحرى إن الحياَة لم تصنع لتكون مليئةً بهذا الكمّ من الجمال و السعادة ـ تعيشُ حياةً كاملة في نظرة واحدة، و في زحامِ هذه المشاعرِ ، صوتٌ يهمسُ عميقاً داخلك كطنينِ هاتفٍ مغلق هذا الحب ليس من الممكن أن يكونَ حقيقياً أو بالأحرى إن الحياة لم تصنع لتكون مليئةً بهذا الكمّ من الجمال و السعادة .

لابد من أن القدرَ يخبئ شيئاً يشوهُ فيهِ وجهَ هذا الحب، و يحولهُ إلى لوحةٍ حزينةٍ يطغى عليها لون الألم، و بدافع وقايةٍ ذاتيةٍ تمضي في طريقكَ مبتعداً عنه، كي لا يصبح بعدَ زمنٍ حكايةً حزينةً ترويها بالدموع، هو الخوف ذاته من الهدايا التي يضعها القدر بين فواصل أيامنا دون مقابل، كان يلاحقهُ في سيلينا أيضاً .

وصلت السيارة ـ غادرتُ منزلي متجهاً إلى المطار- القاهرة وجهتي القادمة، هي حلم بدأتُ أحملهُ مع بدايةِ شبابي،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الإخراج السينمائي هو هاجسي .

مضيت و قد غادرني كل شيء إلا دمشق، بقيت في داخلي حملتها معي إلى القاهرة. كم أخطأ أولئك الذين ظنوا أن المدنَ لا تلتقي ها قد التقت دمشق والقاهرة .

عندما اتصلوا بي من شركةٍ للإنتاج السينمائي من مصر، أحسستُ بسعادةٍ فائقةٍ، كانت فرصتي الأولى للسفر.

الكثيرون يشعرونَ بالضياعِ عند السفر، أما أنا فكنت أجد نفسي فيهِ، السفر فيهِ مسٌ من جنونٍ مغرٍ، ما معنى أن تغادرَ كل شيء و يغادركَ كل شيء؟ تتركَ أماكنَ تسكنكَ لترحلَ لأخرى تسكنها؟

أشخاصٌ ألفتَ وجودهم، لا يغيرون شيئاً من مشهد حياتكَ اليومي، لكن بدونهم يبدو المشهدُ غير مكتمل، لكنهُ تتحدث بها وتألف سماعها، و أخرى عليكَ أن تعتاد عليها .

السفر في جوهرهِ تمردٌ على القدر الذي أوجدكَ هنا لتعيش وتنفق سنواتك، فتتمردُ عليه بالسفر. وترفرفُ بمستقبلك و أحلامكَ بعيداً عن وطنك، والغربة التي ستشعر بها ليست إلا ضريبةً لذلك التمرد ستدفعها للقدر.

عندما حطت طائرتي في القاهرة و نزلتُ منها بدا كل شيءٍ مختلفاً، لقد كانَ أبسطَ مما تخيلتهُ للقاهرة بساطتها تغريكَ للتعرف عليها.

كانَ في استقبالي رجلٌ في الخمسينَ من عمره،

وجههُ صبوحٌ يوحي لك بتصورٍ مبدئي عن طيبةِ أهلِ مصر و حلاوتهم أوصلني إلى الفندق لأرتاح قليلاً، و أخبرني أنهُ سيأتي إلي في العاشرة ليقلني إلى موعد عشاءٍ كانَ قد رُتبَ سابقاً مع الشركةِ المنتجة، تسربَ الوقتُ سريعاً، لم أشعر إلا بالسيارةِ تقفُ أمامَ باب الفندق لينزلَ منها الرجلُ ذاتهُ .

- لا تؤاخذني تركتكَ تنتظرُ أمامَ الفندق .

قال آدم بتهذيبه المعتاد :

- لاـلا تعتذر يا عم أنا من خرجَ باكراً.

ذهبنا إلى العشاء كانَ كلُ شيءٍ سلساً و واضحاً (عدستك الإخراجية مطلبنا) ذلكَ ليسَ سراً، عيناهُ الجميلتان تتمتعان بنظرة إخراجية لافتة، لا أحد يستطيع أن يصور الجمالَ كما يفعل هو .

إن العملَ الفني هو نتاج مشترك بين اللهِ و الفنان، و كلما قلَّ دور الفنان كان العملُ أعظم .

كل صباح بداية جديدة، لا تغلق الطريق إلى قلبك، واجه الحياة بقلب منفتح وعينين واسعتين، الصباح فرصتك كي تثبت أنك جدير بالحب، هذه هي فلسفةُ القلوب التي تتقن أبجديتها.

مدينةٌ تمنحك فرصةً لبدايةٍ جديدة كل يوم، بكثرة الأماكن التي تغريك لزيارتها تستطيع أن تحتفظ بك القاهرة أشهراً في ضيافتها، دون أن تشعر أنك استهلكت وقتاً طويلا، هي حقاً تسرق وقت سياحها،

لكن للمرةِ الأولى يكون الإنسان مسروراً أنه قد سُرق .

يحدث ذلك في القاهرة فقط، منذ أن وصل آدم إليها كان يُكثر من السير في شوارعها علَّ قلبه يضيع في ثوبِ إحدى الفتيات .

كان يبحث عن معصية جديدة، للهروب من طيف سيلينا بحبٍ جديد يدخله متاهة النسيان علّهُ يستطيع إخفاء سيلينا في إحدى زواياها .

رآها أول مرة تعمل في وكالة للألبسة النسائية !

في مكان كهذا هو فارغ الحيل للتعرف عليها عبر «كمين خبيث» فإذا دخل لشراء فستان ستخمن بصورةٍ تلقائية أنه لفتاة يعرفها، وبذلك يكون قد فقد فرصته للتعرف عليها ، ولكن تبدل كلُ شيء بعد أن انتقلت للعمل في متجر للساعات، شعر أن القدر يريد أن يجمعه بها، أو بالأحرى استخدم القدر كشماعةٍ للهرب من الشعور بالذنب، لأنه يضع قلبه بين يدي فتاة بعد سيلينا .

كان يشاهد تلك الفتاة كل صباح عندما يخرج من منزله إلى موقع التصوير، ويُخيل إليه أنها سيلينا تقف على باب المتجر، وفي كل مرة يغمض عينيه ويكمل سيرهُ، و هو يتمتم بشفتيه تعويذة النسيان مبدداً سراب طيفها في المكان .

بعد بضعة أيام دخل إلى المتجر وأخذَ يسألُ موظفاً هناك عن ساعةٍ، يصطنع اهتمامهُ بها وعاد في اليوم التالي واشترى الساعة ذاتها على الرغم من أنها باهظة الثمن، لم يكن يفكر كثيراً في المال الذي ينفقهُ .

نحنُ ننفق المال أحياناً كي نكون بقرب من نريد،

ننفقه لعدم جدوى بقائه معنا ومن نرغب به بعيدٌ عنا، لكن المال هو فقط من يبني جسراً إليه، وأن تنجح بالوصول إلى قلبه هو رهنٌ بك أنت .

في المرة التي تلتها دخل إلى المتجر، كان عائداً من عمله والساعة قد شارفت على التاسعة مساءً .

قابلها والارتباك بادٍ عليه، وقال لها:

- لقد اشتريت ساعة منذ يومين لصديقي، لقد أعجبتهُ كثيراً وطلب مني أن أشتري له ساعةً أخرى من المتجر ذاته، سيقدمها هديةً لخطيبته، شعرَ أن حجته غير مقنعة كثيراً لكنه استمر بها، بدأت تعرض له الساعات ذات الطابع النسائي كان يدورُ في رأسه فكرة واحدة تبتزُ حافظةَ نقوده .

كم من الساعات عليّ أن أشتري لأحصل على ساعةٍ معك، مكلفٌ هذا المساء ومكلفةٌ أيضاً أمنيتي معهُ، إن كنت سأختار عنواناً لليلتي هذه فسيكون «الأمنيات الباهظة» .

‹ الأمنيات بالنسبة لآدم، لم تكن أكثر من معاصٍ جديدة يرتكبها في الحب، لكن ما غاب عن ذهنه أن القدر لا يمنحنا الغفرانِ مرتين، و أن سيلينا يستحيل استنساخها في أنثى .

و مهما حاول أن يعلق ضحكتها على فتاةٍ أخرى، أو أن يتخيلها ترتدي ذات الملابس، وترقص بالطريقة السحرية ذاتها، وأن يهديها بخبث رجلٍ عطر سيلينا نفسه، و يصرَّ بإقناع ذاكرتهُ السمعية بأن لها الحبال الصوتية ذاتها . سيفشل .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان

كان يعلم آدم ذلك في قرارة نفسه ، فحاول أن يقتلها داخلهُ بأمنية!

الأمنيات هي أوراق يانصيب تشتريها قلوبنا بالدعاء، هي ترانيم ترتلها قلوبنا وتطلقها شفاهنا، وتصعد بها أعنينا نحو السماء، و من المؤكد أني عن قصدٍ ذكرت ملامحكِ في دعائي، حتى حدث أن قدمتِ إلى مكان تصوير الفيلم الذي أقوم بإخراجه، لم أكن أعلم أنها شقيقة منسقة ملابس المونتاج، لعلَّ ذلك يبرر أناقتها المذهلة واللافتة، عندما انتهيت من تصوير المشهد اقتربت منها، و قلتُ لها:

- أشعر أننا تقابلنا من قبل .

ابتسمت ابتسامة خجولة، استدركت قولي وكأنني تذكرت إجابةً على سؤالي:

- صحيح في متجر الساعاتِ، أنتِ تعملين هناك؟

«نظرت إلينا شقيقتها بقليل من الاستغراب»

- التقيتما!؟

- رأيتها مرتين في متجر للساعات

قالت بشيء من المكر النسائي:

- لكنك لا ترتدي ساعةً قط، وقلت لي ذات مرة أنك لا تحبها، وتشعر أنها أداةٌ صنعت لتشعرنا بعقدة الذنب تجاه الوقت!

«ابتسمتُ محاولاً إخفاء ارتباكي»

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- صحيح ولكنني بحاجة في بعض الأحيان للشعور بالذنب، كي أحافظ على مساحةٍ من الغفران داخلي .

تلك الفتاة الجميلة كانت تبتسم فقط وتنظر إليَ بخلسة:

خاطبتها :

- لكنني إلى الآن لا أعلم اسمك!

- فرح ـ اسمي فرح .

- اسم جميل .

لم أشأ أن تنتهي محادثتنا ـقلت لها:

- ما الذي جاء بكِ إلى مكان التصوير؟

قالت لي بلهفة .

- أحب التمثيل والتصوير وكل شيء يتعلق به ـ كنت أحلم دائماً أن أصبح ممثلة .

- تحبين التمثيل!؟

أجابت دون تفكير :

- جداً.

- حسناً ، أنا مدينٌ لكِ الآن بتحقيقِ حلمك، لدي دورٌ صغيرٌ لك تعالي غداً للقيام بتجارب الأداء والاختبار.

- أأنتَ جادٌ حقاً؟!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

أجبتها مانحاً حديثنا شيئاَ من الجدية .

- ليس لدي الكثير من الوقت للمزاح، عندما يحقق القدر حلمك ، أنت مدينٌ لهُ بتحقيقِ أحلام الآخرين .

«ملأت الفرحة عينيها حتى فاضت الابتسامة على كامل وجهها، شعرت بسعادة غامرة أنني أمنحها فرصة لتحقيق الحلم .

' في اليوم التالي، و في اختبار الأداء، كنت أظن أن نصف موهبتها تكمن في جمالها، والنصف الآخر ستكتسبه مع الوقت بالتدريب لكنها أذهلتني حقاً! كانت موهوبة بالفطرة، وفي الحقيقة أنني لا أعلم كيف لم يخطفها أحد المخرجين المصريين، كنت مسروراً لأنها ستشارك معي في هذا الفيلم، لقد كانت تستحق مني هذه الفرصة حقاً، وكنت أنا استحق فرصةً معها، طلبتُ منها أن تختار بحريةٍ أيَّ مشهدٍ وتقوم بتمثيلهِ، كان كميناً لها كي تبوح بشخصيتها ولم يكن يصعب على رجلٍ مثلي أن يكتشفها، ولم أمنحها دوراً ثانوياً بل منحتها دوراً رئيسياً، باتت عندما تصل كل يومٍ إلى موقع التصوير لأداء مشاهدها، تمنح مكان التصوير ألواناً يحيى بها.

اعتدت بعد التصوير كل يوم أن أسير معها إلى الشارع المؤدي إلى بيتها .

أحببت هنا أن أطيل سيرنا معاً و أعبدَّ الطريق لعلاقةٍ معها، وقلت لها:

- ما رأيك أن تريني جمال النيل؟

- هل شاهدته في الليل؟

- لا ... منذ أن جئت إلى القاهرة لم أشاهدهُ إلا في النهار.

- معنى ذلك أنك لم تشاهده قط .

سرنا معاً باتجاه الضفة التي تطل على النيل، تأملتها وهي تسير قربي فرح فتاةٌ بسمار البن، أنثى مصنوعة من القهوة، قليلٌ منها لا يكفي، و كثير منها يؤدي إلى الإدمان، تخرج من علاقة حب إلى أخرى بشكلٍ أكثر احترافية، ذلك يمنحك عنها طابعاً بعدم المبالاة والتكبر، حتى أنَّ البعض كان يبالغ في ظنونه، ويقول عنها عاهرة، سمعتُ ذلك من أحدهم، لكني لم أعتد أن أصدق رجلاً يتحدث عن أنثى أمامي .

مدّدت نظري إلى النهر، أتأمله وأراقب تلك المراكب التي تسير ليلاً محملة بعدد هائل من الأضواء، مشهدٌ مذهلٌ لا تجده إلا في النيل كانت محقة حقاً عندما قالت لي إن لم تشاهده ليلاً فأنت لم تشاهده أبداً.

قلت مقاطعاً صمتنا:

- نعم يا عزيزتي الحب ليس مهنةً في بلادنا، الكل ينتظر من أنثى جميلة أن تفشل في الحب ليرجموها بكلماتهم، وطوفان ظنونهم عليها يفقدها شيئاً من كبريائها الأنثوي، ويجعلها تحدق إلى الأسفل، يجعلها تنظر إليهم ، يظهرون عدم اكتراثهم بها وهي تندرج تحت قائمة الأمنيات المستحيلة ـهذه الحقيقة تصرخ بها نظراتهم إليها عندما يحدقون بها كلّما رأوها.

هي شهوة الإنسان لأذية الجمال، عندما لا يستطيع أن يملكه يسعى لإفساده .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

لونت وجهها دهشةٌ غيرت ملامحهُ، تنظر تارةً في عيني و تارةً إلى النيل، من السهل علي أن أعرف معنى تلك النظرات، لم تعتقد أنَّ هذا النوع من الرجال موجودٌ حقاً، لم تعتقد أن هناك من يستطيع قراءتها بهذه الطريقة، ابتسمت ابتسامة لطيفة، وقالت:

- كيف أمارس الحبَّ! ما هو الحب إذاً !؟

أجبتها:

- الحب أن ترتدي نظارات شمسية من ماركة فاخرة، وفستاناً أسود، وكعباً نسائياً عالياً ٧سم، وألا تحدقي إلى الأسفل أبداً.

لم يعلم أنه يصنع منها قاتلةً محترفة ستلهو ذات يوم بقلوب الرجال، أكملا طريقهما إلى منزلها يحدقان في السماء، وتلهو أعينهما بالنجوم، باغتها بسؤاله:

- متى يكون الرجل رجلاً في عيني فتاة؟!

أجابته بشيء من المرح و المكر:

- عندما يقول لها أنه يحبها

توقف آدم عن السير ـ (لم يفكر كثيراً)

- حسناً أنا أحبك إذاً .

التفتت إليه بهدوء، و شهقت عيناها بابتسامة، حاولت أن تخفيها، لكنها لم تنجح، اقتربت منه خطوتين حتى أصبحت تستطيع أن تسمع صوت أنفاسه،

وقالت:

- بس أنا مش بس بحبك أنا بموت في أهلك .

وتركته في دوامةٍ من المشاعر، و مضت إلى منزلها.

جاءت إلى التصوير في اليوم التالي، تحاول إخفاء إشارات الحب التي تُرسل من عينيها إلى عينيه عن الجميع، وبخاصة شقيقتها.

«علاقاتنا الغرامية دائماً محكومةٌ بالسرية، لأننا نعيش في مجتمعٍ تعيس، السعادة فيه جريمة، وخاصةً تلك السعادة التي تأتيك على شكل علاقة حب، تشعر أنك كلما ازددت سعادة في الحب، ازداد من يحيطون بك تعاسة، ربما لأنهم لا يعيشون حباً كبيراً، كالذي تعيشه أنت، وقد يتمنى لك بعضهم أن تصاب بسرطان الفراق ـ لا يهمهم كم بحثت عنه حتى وجدته، لا يعنيهم كم تغيرت حتى أصبحت جديراً به، وسيرقصون فوق جثمان حبك حينَ تكون أنت تشيعه بالدموع .

كانت تخفي حبها خوفاً من أعين أولئك الحاسدين، خوفاً من ذلك السرطان الذي أصبح يصيب هذه البلدان بكثرة ـلذلك كانت تسبقه ببضعة دقائق في المغادرة، أو تغادر باكراً إن انتهت من تصوير مشاهدها قبله بساعات، لتعود وتلقاه في نهاية يوم «المساء و النيل هما الشاهدان الوحيدان على علاقتهما فيه .»

كانا قد خططا اليوم للذهاب في رحلة قصيرة بأحد المراكب التي تسير في النيل، عندما وصلا إلى المكان الذي ترسو فيه المراكب، اختار آدم مركباً كان يقوده رجل

مصري تجاوز الستين عام، مرَّ بقربه كثيراً، و في كل مرةٍ كان العجوز يقابله بابتسامة تذكره بوالده .

بعد أن صعدا إلى المركب، جلسا يتأملان النيل وسحره، نظرَ آدم إليها و قال لها بشيءٍ من المزاح:

- فرح هل أخبرتك أنني كلما التقيت بك أحببتك بطريقةٍ مختلفة؟

ضحكت بخجل، ونظرت في عينيه، قائلة:

- أنا على يقينٍ أنك أحببت فتاةً من قبل .

حول بصره إلى النيل .

- أجل أحببت!

- لا أستغرب ذلك ، لكنني أحس بالدهشة كيف تخلت عن رجلٍ مثلك؟

قال مدافعاً بسرعة:

- لا ذنب لها أنا من سافر بعيداً.

إجابتهُ الحادة و السريعة جعلتها تشعر أنها مست منطقة محظورة في الذاكرة، فحاولت تغيير الموضوع.

- هل تعلم أنَّ لحيتك الخفيفة تزيد جاذبيتك؟

ابتسم لها ابتسامة المجامل، وتابعا تأملهما .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الفصل السابع

ليتنا نستطيع أن نعرض تلك الذكريات التي لا نحتاج إليها في مزاد علني للنسيان، المشتري هو ذلك الذي يستطيع أن يملأنا بذكريات جديدة، غير مخصصة للبيع.

الذاكرة التي اعتدنا خيانتها

لكل ذكرى ثمن ابتسامة، أو دمعة، أو قد يكون ثمنها أن ندفع ما تبقى من عمرنا لكي نستعيدها، و مهما أخبرك الجميع أنها لن تعود، لن تنصت لأحد، وستدفع ثمن تلك الذكرى، وأنت مقتنعٌ تماماً بإمكانيةِ إحيائها، و دفعها للحياة مجدداً.

إن ما نريدهُ من النسيان ليس النسيان ذاتهُ، بل أن لا تحدث الذكرى التي نريد قتلها بالنسيان فوضى في داخلنا .

انتهت رحلة النيل المسائية، وعاد معها إلى شارع بيتها، ودعتهُ و دخلت المنزل، أكمل طريقه ببطء .

هذا المساء حزين مثخن بالحنين، يومٌ سعيدٌ في القاهرة، تشعر أن الشوارع تضحك، واللافتة الإعلانية تبتسم في وجه من ينظر إليها، كان كل شيء سعيداً في هذا المشهد إلا هو كان دخيلاً عليه، وجه سيلينا وصوتها ينزفان في ذاكرته، وسؤال فرح عن علاقته السابقة حرك ذلك الجزء الساكن من الذاكرة كان يحافظ عليه بعيداً عن هزات الحنين، تذكَّرها بتفاصيلها، بضحكتها، بعينيها.

لماذا لا يستطيع أن يبتسم؟

حاول جاهداً وهو يشاهد الجميع يحملون الفرح على وجوههم، حاول يائساً أن يعيد تلك الذكرى إلى مكانها، إلى تلك الغرفة المظلمة في قلبه .

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

الجميع يمتلك مثل هده الغرفة في قلبه، نلقي بها بطيف أشخاصٍ لا يخضعون لقوانين النسيان الفيزيائية نخشى أن يقع عليهم شعاع الحياة، وتقوم هالةٌ من الحنين باستحضارهم إلى الذاكرة، لكن لماذا ؟!

لماذا لا يستطيع أن يبتسم، رغم كل البهجة التي كانت تحيط بالمكان ؟!

أصبح يعلم الآن أن هناك أشخاص عندما نفقدهم لا نبكيهم بالدموع بل بالابتسامة، الابتسامة التي كانت تزين وجهنا عندما نراهم، تلك الابتسامة عندما تبحث عن وجهِ من صنعها ولا تجده ستختفي ولن تعود أبداً.

«يعزي نفسه أنه لم يستطع أن يكون معها، قدره كان يحاربه بها»

هي أفضل منه في نظره ولن يحمل لها البؤس، تمنى لها أن تعيش حياة سعيدة، أطلق هذه الأمنية مع غصة تملأ قلبه، وفي هذه الفوضى سرعان ما تذكر فرح وابتسامتها، وأنه يجب أن يكون مخلصاً لها، والخطيئة التي ارتكبها هذا المساء بتذكره سواها يجب ألا تحصل مرة أخرى، يجب أن لا يخونها حتى بذكرى حبٍ سابقٍ يقتحم مخيلته .

« الحب الذي يولد من رحم الخيانة يكون مشوهاً دائماً»

اتصل بفرح ، رأى أن الهروب إليها هو طوق النجاة:

- اشتقت لك .
- لكن لم يمضِ ساعة بعد على لقائنا!
- الشوق هو العدو اللدود للزمن، لا يعيره اهتماماً، و يسير غير مبالٍ به، لذلك لا مانع من شوقي لك بعد ساعة على لقائنا فقط .

«أرادت أن تصنع شيئاً لتمنحه قسطاً من السعادة»

- حسناً إذا سأعتذر من صديقاتي غداً، وسنذهب سوياً إلى مكانٍ جميل . أسعيدٌ الآن؟

- بالتأكيد.

- سآتي إلى موقع التصوير غداً وسنخرج سوياً.

- نخرج سوياً؟!!

استغرب قليلاً لأنها رغبت أن تكون علاقتهما غير معلنة في العمل، ولكنها أكملت بثقة:

- أنا حرة، أفعل ما يحلو لي .

قال لها مازحاً:

- أنت تخيفينني .

قالت وهي تضحك:

- لا-لا تقلق .

- حسناً إذا سأنتهي من عملي هناك في تمام الساعة السابعة .

«بقدومها إلى موقع التصوير في اليوم التالي، كانت تنقذه دون أن تعلم، إنه إنقاذٌ حقيقي فعلاً فالرسام في لوحته، والشاعر في قصيدته، والممثل في شخصيته، والمخرج في مشهده، كلٌ منهم بحاجةٍ إلى أحدٍ ينتشله من جحيم ما يصنعه ولو لدقائق فقط، قبل أن يفقد قدرته على التمييز بين واقعه الحقيقي وبين ذاك العالم الآخر الذي يخرج منه إبداعه، قبل أن يتمادى في ذلك الخيال ويتملكه .

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان amer.suliman.92

الخيال كالرمال المتحركة تماماً، كلما فكرت به كلما استحوذ عليك أكثر فأكثر، فنكون دائماً بحاجة إلى من يمد لنا يده وينقذنا، شرط أن يكون هذا الشخص هو من تود أن تعيش معه واقعك، لا أن تهرب منه إلى الأحلام عندما يبتلعك خيالك ستتحول إلى طيف إنسان جسده عالقٌ هنا، وعقله أسير أحلام اليقظة، التفت إليها .

- لقد أنقذتني بقدومك .

«لم تعِ ما يقصده لكنه يعلم أنها فعلاً جاءت في اللحظة المناسبة، أكمل :

- أنا جائع

قالت فرح:

- حسناً هذه المرة أنا سأدعوك إلى العشاء وأنا سأختار ما نتناوله.

- أوافق لكن أنا من سيدفع .

›قالت لهُ :

- الشرقي يصيح داخلك.

- عزيزتي، أكون فخوراً بشرقيتي بهذه التفاصيل الصغيرة .

« استقلا سيارة أجرة إلى المطعم، لم يكن آدم ليعتاد على الطعام المصري فيما عدا أطباق قليلة كانت تذكره بالطعام السوري .

المفارقة اللطيفة التي كانت تميزه عن فرح، هو أنه كان يأكل طعامه بسرعة، وفرح تتمهل كثيراً حتى أن النادل شعر بالملل، وهو يراقبها بخلسة .

هي تتناول طعامها ببطء، وآدم يراقبها بشغف كيف تفعل ذلك .

هي تمارس أنوثتها باحتراف ، تعلم أن طريقتها في تناول الطعام تمنحها جاذبيةً من نوع خاص، على الرغم من أن تناول الطعام في مكان عام أمام من تحبه، يعد شركاً للأنوثة لكن فرح تعلم كيف تستغل بكثير من الدهاء، ما يقع فيه غيرها من الفتيات لصالحها بشكل مذهل .

فرح. أنثى تتلاعب بالفصول عليك أن تكون حذراً معها .

إذا أحبتك تدخلك الصيف بدفء أنوثتها و أنت في وسط الشتاء، و إذا غضبت منك تحرقك كورقة صفصاف يابسة تآمرت عليها الفصول، و إذا ما انصرفت بقلبها عنك تركتك حتى تتجمد من ألم الفراق .

غادرا ذلك المطعم بعد جلسةٍ طويلة، كان حوار الأعين هو الطاغي فيها، سار وحده، وعند كل ناصيةِ شارعٍ يخيل إليه أن سيلينا كانت تقف هناك، و دموعها تعاتبه، سار كمجنون، بدأت تتسارع خطواته حتى بات يهرول دون أن يشعر .

وصل إلى المنزل ،كانت يده ترتجف و هو يمسك سلسلة المفاتيح، دخل و أغلق الباب خلفه بقوة، و ألقى حقيبته الجلدية، و خلع ثيابه عدا بنطاله، وجلس على طرف السرير، و وضع يده على رأسه و هو يحدق إلى الأسفل،

همس بشفتيه، وكأن سيلينا كانت تقف أمامه، بعينين دامعتين .

«يجب أن يحتشدَ داخلي ألفُ شيطان، كي أستطيعَ أن أخونَ أنثى تمتلكُ عينيكِ»

اصبح يهلوس بهذه العبارة و يكررها.

كان يحتاج لمترٍ و نصف من النسيان ليدفنها بها، لكنها كانت تنمو ذكريات من تحتِ تراب الفراق كل مرة .

بقي مستيقظاً حتى ساعةٍ متأخرة من الليل، حاول أن ينسى ما مر به اليوم، نهض عن سريره و أعد كوباً من القهوة، وفتح حاسوبه المحمول، كان يبحث عما ينسيه الخراب الذي يعصف بقلبه، فبحث عن خراب يؤلمهُ أكثر، لم يجرؤ من قبل أن يقصده، لكن ما حدث اليوم منحه شجاعة المهزوم، الذي يبحث عن هزيمةٍ كبرى تجعل، من تلك الصغرى أقل إيلاماً.

جميعنا هكذا ـعندما يعصف بنا خرابٌ ما، نسعى بقصدٍ لنؤذي أنفسنا بخرابٍ أكثر وحشية، لنخفي خرابنا الصغير وهزيمتنا الصغرى داخلهُ، و نحن نبتسم في وجهها لأننا وجدنا ما يؤلمنا أكثر منها، وكأن قوةَ الذكريات تقاس بأكثرها إيلاماً، و لكن و على الرغم من ذلك كله كان من الصعب أن يتقبل عقل آدم أن ما يشاهده عن طريق الانترنت و اليوتيوب، يحدث فعلاً في وطنه، و أن الياسمين أصبح أحمر اللون، وأن فيروز بات صوتها غير مسموعٍ، بفعلِ صوت الرصاص الذي يستبيح كل الأصوات، ليتيح لنفسه فقط فرصة الحديث .

إنه استعمار الصوت بفعل الرصاص!

لكنَّ آدم تناسى أن دمشق كسيلينا تماماً، هي أيضاً تسكنهُ .

لقد ظن أنه حملها معهُ عندما جاء إلى القاهرة لكنها الآن تنزف داخلهُ، استلقى على سريره و تكور على نفسه و هو يرتجف، و استسلم للنعاس، لكن الأفكار بقيت تصرخ داخل رأسه .

الفصل الثامن

حذارِ من الفكرة التي تسطو على مخيلتك قبل النوم بقليل، مهما كانت صغيرة، لن يعود التخلص منها في الصباح ممكناً، فالأفكار تنمو في الليل .

جراثيم الذاكرة

هل تؤمن أن الأفكار تنمو في الليل؟!

لقد أصبح يؤمن بها فعلا عندما استيقظ مصمماً أن يعود إلى دمشق .

لكن ماذا عن كل شيء يربطه هنا؟!

فيلمه ؟! شارف على نهايته

حسناً فرح ؟!

هل سيغادر مجدداً ؟!

هل ستحتمل غيابه عنها لفترة لا يعلم كم تطول بعد أن اعتادتهُ داخل يومها!

قاطعهُ صوت فرح وهي تدخل بهدوء، كانت تمتلك مفاتيح شقته طبعاً، رأته مستيقظاً:

- كنت أظن أني سأجدك نائماً.
- تعلمين أني لا أنام كثيراً! النوم ليس صديقاً لي، سأحضرُ لكِ القهوة .

سار إلى المطبخ المطل على الصالون .

- فرح !

هل قلت لك من قبل أنك سادية، تعشقينَ تعذيب الأشياء؟؟!!

قالت باستغراب خط ملامحه على وجهها الجميل :

- ماذا تقصد ؟!
- ألا تعتقدين أنّ للأشياء ذاكرةً تُنكِّل بنا!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

منزل عشت فيهِ سنوات، سريرٌ نمتِ عليه أشهراً، كتاب حملته عدة ساعات، فنجان لامس شفتيك بضع ثوانٍ .

هل جربتِ يوماً معنى الفقدان؟

أن تفقدي شيئاً اعتدتِ وجوده، في بعض الأحيان قد يقودنا إحساس الفقدان للدمار- فنجان قهوتك البارحة عندما حملتهِ، وقاطعك صوت هاتفك، فأعدتهِ إلى الطاولة دون أن ترتشفي منه رشفة واحدة، ومضيتِ !

صوبت بصرها حيث كان يشير لها بعينيه، فرأت حطام فنجان .

- هل تظنين أنها مصادفة، أن تقع كل الفناجين من مكانها ويتحطم هو وحده؟!

لقد كان يهيئ نفسه ليلامس شفتيك لكنكِ مضيتِ مسرعة .

لمن سيهدي قهوته بعد أن خذلته شفتاكِ؟

ابتسمَ ابتسامة جميلة .

- لذلك اليوم ستشربين قهوتك في فنجاني .

«ضحكَتْ»

- أتعلم أنك أحزنتني على فنجاني المسكين، أنت لست مخرجاً فقط -أنت لا تدخل مشهداً في الحياة إلا وتلقي عليه شيئاً من سحرك، فتجعله مشهداً لا يمكن تكراره أبداً، مئات الفناجين تتحطم كل يومٍ على جسد الرخام، ولا أحد في هذه الدنيا يستطيع أن يصور هذا المشهد كما تفعل أنت .

- لا يا عزيزتي أنا لا أفعل شيئاً أنتِ من يعيثُ فساداً في قوانين الحياة .

- حسناً هل ستتغزل بي الصباح بأكمله؟

- إذا أردتِ! سأكون مسروراً بذلك .

- لا لن أكون طماعة كثيراً ما منحتني إياه اليوم من مشاعر جميلة تكفيني لأسبوع .

تمنى أن يكون هذا شفيعاً له لما سيقوله الآن، لكن ما هي المفردات التي سينتقيها ؟

قالت له، مقاطعة ضجيجه الداخلي:

- ماذا تريد أن تقول لي؟

«لم يكن ذكاؤها موضع شكٍ أبداً»

- حسناً لابد من ذلك -تنهد- سأنهي عملي حالياً، وأعود إلى دمشق .

«خطف الخوف لون وجهها»

- دمشق !

هل جننت ؟ رغم كل ما يحصل هناك، الناس تموتُ كل يومٍ هناك، ويخرجون بالآلاف، وأنت عائداً إليها، دمشق مدينةٌ تحاصر سكانها بالموت .

- أنا مجبرٌ على العودة، لا أستطيع أن أقف هنا متفرجاً.يجب أن أخفف شيئاً من وحشية المشهد، فبين عشرات الكاميرات التي تصور ما يحصل هناك، يجب أن تكون هناك عدسةٌ مستقلة تنقل الحقيقة كما هي .

- لكن دمشق ليست بحاجة إليك الآن .

- أنا بحاجة إليها.

- لكنني بحاجةٍ إليك آدم .

- سأعود، أعدك بذلك .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

هي تعلم وعوده المقدسة، وتعلم التزامه بها، لكنها تعلم أيضاً أن كلَ الوعودِ تولد قويةً من شفاهنا، لذا لا تقاس قوتها ببدايتها، بل بصمودها حتى النهاية أطرق آدم رأسه إلى الأرض بشيء من اليأس، في بعض الأحيان لا يكون الوفاء بوعودنا رهناً بنا ـفهي تعلم وعوده المقدسة ومدى التزامه بها لكنها لن تكون أسيرة الانتظار، أقسى أنواع الانتظار وأشدها تعذيباً هو انتظار توأمك الذي ترفض عقارب الساعة أن تتجاوزه، و في كلِّ تكة تهمس باسمهـكم ساديٌ ذلك الانتظار الذي يحولك إلى هاتفٍ، عالق في منزل مهجور، تنتظر اتصالاً ممن تحب لتهتف روحك برنين صوته، كان ذلك ما فكرت به فرح، قالت له بحدة:

- لا ـ لاـ آدم لن أكون أسيرة انتظارك .
- فرح، لقد وعدتك أنت تعلمين كيف هي وعودي .
- لا تكمل أرجوك .

«قالت له بعد أن استجمعت دموعها التي لا تريدها أن تظهر لآدم»:

- أتعلم ؟! لم يكن مقدراً لنا أن نكون معاً يوماً، فأنا أنثى خلقت من انتظار وأنت كنت سريعاً كالقدر، كنت تريد أن نقضي عاماً في يوم، أنتَ من أخذ صفات القدر، ونسي أن ما يأتي على عجل يذهب على عجل .
- لكنك تعلمين أني لست ذلك الرجل، الذي يرحل ويتركك على حافة لقاء لا يعلم موعده .

صرخت في وجههِ:

- آدم، كفى .
- لماذا تخيفكم فكرة البقاء؟!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

جميع الرجال يلتقون بالأمل الذي يمنحونه في البداية الأمان الزائف، الذي ما تلبث أن تلجأ إليه فتاة حتى تشعر بالبرد، القاسم المشترك بين الرجال جميعاً هو الخيبة .

وقفت كبركان يتهيأ للانفجار ومضت، لم تلتفت إليه، أغلقت الباب خلفها بقوة تسمرت عيناه في مكانهما وأطال الهدوء .

هو رجلٌ ملعونٌ بالفراق، من الصعب أن تغريه مدينةٌ ويبقى فيها دون أن يغادرها باكراً، لا يفرغُ حقائبه لأنه متهيئٌ دائماً للرحيل، بقي ساعة كاملة دون أن يتحرك، كان التفكير يأخذه بعيداً، هل فعلاً هو تلك الخيبة التي تحدثت عنها؟؟

لكنه بريءٌ من كل ما جرى، فهو لا يريد أن يجرح أحداً، قدره هو الذي كان يسوقه ويقوده من رحلة إلى أخرى، وكان هناك تساؤلٌ يراوده:

« هل من الممكن أن القدر كلما أراد أن يعاقب فتاة أرسلني إليها؟ ما مررت بفتاة إلا وحولتها إلى لوحة حزينة» .

تذكر ما قالهُ لجلال ذات مرة:

« إن خُذلتَ في الحب إياكَ أن تحصي خسائرك، فقط أعد ترتيبَ نفسكَ من الداخل و امضِ، فما خسرتهُ في هذا الحب قد كسبتهُ في حبٍ سابق، ريشة القدر بارعة جداً في رسم عدالة العاشقين » .

وقف متثاقلاً كمن ينزع مساميراً تثبته بالأرض، قد يكون العمل هو الدواء فعلاً لأي وعكة عاطفية، أو صدمةٍ نفسية نتعرض لها.

ارتدى ثيابه ببطء، ووضع على رقبته وشاحه الصوفي ذا اللون الرمادي، كان الخريف قد انتهى من حزم حقائبه، وبدأ الشتاء يرتب أمتعته داخل خزانة الأيام، خرج من المنزل، ووقف في الشارع، منتظراً سيارة أجرة الهواء البارد يلامس خديه، و يلون أنفه بلونٍ أحمر، هذا اليوم الأخير له في العمل، رتب كل شيء ليكون كذلك.

ولأننا منذورين للفناء في اللحظة الأخيرة من عمر كل شيء، تتساوى لنا قيمة الأشياء بالزوال، نتحرر من قيود الزمن، و تصبح لحظتنا مع كل ما يحيط بنا خالدة ـ هذا هو جوهر أن تكونَ إنساناً.

صعد إلى سيارة الأجرة، حدد وجهته ولم ينطق بعدها ببنتِ شفة، رغم محاولات سائق السيارة بأن يفتتح حديثاً معه، لكنه ظل صامتاً، فهو يمر للمرة الأخيرة بهذا الطريق.

جميعنا نعلم قسوة الزمن على جسد الأشياء، لذا نصورها بعيننا بشكلها الحالي ظناً منا أننا نحميها في الذاكرة.

كان ذلك الطريق طويلاً أكثر مما ينبغي، طويلاً كفاية ليمنحه وقتاً يشنق نفسه بحبل الذكريات.

طلبَ من سائق السيارة أن يزيد السرعة خوفاً من ذلك الحبل، الذي بدأ يتسلل و يلتف حول رقبته، وصل إلى وجهتهِ، هبط من السيارة مسرعاً، لم يكترث للمبلغ الذي منحه لسائق السيارة، ومضى سريعاً إلى داخل الأستوديو، بدا فارغاً تماماً يملؤه السكون فقط، أنارت الإضاءة المكان، وظهر الجميع يحملون قالباً من الكيك يحمل صورته وباقة من الياسمين،لم يشعر بشيء كهذا من قبل، لقد وضعوا دمشق بين يديه،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

هؤلاء الأشخاص لقد استولوا على جزء من الذاكرة سيبقى مسجلاً باسمهم، لطفاء جداً، ماهرون في عملهم، لا تحتاج أن تُرهق نفسك معهم لكي تصل إلى ما تريد، خلف كل نجاح أشخاصٌ مثل هؤلاء الذين ندين بجزء من نجاحنا لهم.

«طاقم عمله كانوا من هؤلاء بامتياز» تكفيه الطاقة الإيجابية التي يكتسبها كلما وقف بقربهم.

بقي في الأستوديو ما يقارب الخمس ساعات، وتناول العشاء معهم، وخرج بعدها سيراً على قدميه، عائداً إلى البيت، اختار كعادته الطريق المطل على النيل، أصبحت بينه وبين النيل صداقة، لا يعلم بها إلا الليل والمراكب، رفض أن يغادر القاهرة مع ندبة في القلب، ندبة تركتها فرح ببرود.

و كالذي يشكو للنيل جرحاً ـ خاطب النيل:

- غداً أسافر إلى دمشق ـأيعقل ألا أحظى بوداع هاتفي على الأقل؟؟

أنت تعرفها أكثر مما أعرفها أنا، من المؤكد أنها جلست أمامك ساعات وساعات.

هل من الممكن أن تخون شفتاها الصغيرتان وعداً منحته لي عيناها ؟؟!!

« آدم»

الذي لم يصدق ما سمعهُ عنها، أن الرجال بالنسبة لها أوراقُ خريف، وأنها تحتفظ بجيبِ حقيبتها الداخلي بظرف دواءٍ للنسيان، تتناوله بعد كل علاقةٍ مع رجل، لم يكن الرجال بالنسبةِ لها أكثر من جراثيم تعلق بالذاكرة.

هو يعلم الآن أنها مزيجٌ من الفوضى و الجمال.

مزيجٌ من المعصيةِ و الغفران.

مزيجٌ من ملاكِ صافٍ و من شيطان.

عندما ألتقى بها كان يمنحها الغفران الذي لطالما كانت تبحث عنه، دون أن تعلم و حتى بعد أن أحبته و دخلت معهُ عالم الملائكة، بقيَّ داخلها ذلك الجزء المتيم بالمعصية .

أصبحت جزءاً من الجنة لكن قليلاً منها لا زال يحنُ للجحيم !

درسٌ قاسٍ كان جديراً بخيبةٍ كهذه، هناك أشخاص نسمح لهم أن يدخلوا قلوبنا على الرغم من معرفتنا أنهم يحملون جواز وفاءٍ مؤقت، وأنهم في أول محطة خيانةٍ تصادفهم، سيمزقون جوازات وفائهم وكل أوراقهم الثبوتية في قلوبنا، وعلى الرغم من ذلك نسمح لهم بالعبور، ونشرع لهم مدن عشقنا، ونسير إليهم حتى ونحن نرى في تلك العيون هلاكنا، ظناً منا أن الموت في سبيل من نحب موت جميلٌ .

لا يجب أن نكون أوفياء أكثر مما ينبغي، أعظم الأوفياء من يستطيع أن يقف عند محطة الخيانة نصف ساعةٍ، ويمضي دون أن يشعر به أحد .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الفصل التاسع

كان حبنا ينجبُ كلَ تسعةِ ايام طفلاً من الذكريات .
كيفَ أسطعتَ أن تقسو على أطفال ذكرياتنا ؟
ألا يؤلمكَ أنهم بعد فراقنا أصبحوا أيتاماً ؟

أطفال الذكريات

دمشق !

هل لأنني عاشقٌ تفعلين هذا بي؟؟!!

لم أظن يوماً أن فظاعة المشهد ستصل بكِ أن تستبدلي ثوبك الأبيض الجميل، بثوب أحمر قانٍ، ورائحة الياسمين برائحة الدم، لا أدري كيف حافظتي على شبابك ٥٠٠٠ عام، وشختِ في سنواتٍ ثلاث فقط !!

إنه حظ العاشقين إذا .

لكن لا ملامةَ عليكِ، جميعنا يجب أن نحمل لك في أيدينا أساور من أسف وأطواقاً من الاعتذار، نحن من زفك عروساً إلى الموت، بفستان زفاف أسود صبغته معاصينا بالدم .

أمي كانت ممتلئة بفرحٍ وحزنٍ معاً ـ فرح قدومي، وحزن على مدينتها، التي تنزف الموت كل يوم، احتضنتني بقوة، شعرت أنها ستحتضنني لأيام متواصلة، تضمني تارةً، وتبعدني عنها تارةً أخرى لكي تتأملني، لتعود وتضمني بعدها، شعرت باستغراب من لهفتها الشديدة هذه، كأن فيها دهشة من مستحيلٍ لم تصدق أنه تحقق !

هذه ليست المرة الأولى التي أغيب فيها، لكن لعل من يقطنون هذه المدينة أصبحوا يتعايشون مع الموت بشيء من الفزعـحتى باتوا يمارسون طقوس الوداع كل يوم، ترى ذلك في عيون كل ساكنيها

الأم تودع طفلها الذاهب إلى المدرسة كأنها لن تراه مرة أخرى .

الزوجة تودع زوجها بعيني المفارقة وتبقى تعيش رعباً يفرضه هاجس اتصال، أو شريط خبرٍ عاجل يمر ببطء أسفل شاشة التلفاز، عن تفجيرٍ وقع يميت جزءاً منها، ويلبسها أسود الحداد سنوات .

كل شيء في هذه المدينة يخبرك بطريقة مفجعة أن الموت لا ينتقي ضحاياه!

فالقذيفة التي تسقط على شارعٍ مكتظٍ بالمارة، لا تفرق بين الطفل الصغير و بين ذلك الشاب اليافع، و لا تنتقي الكهل لأنه بلغ خريفَ عمره، ولا تهتم لأمومةِ تلك المرأة التي نزلت لتشتري حليباً لطفلها.

هي تمنحهم فرصة أن يكونوا متساوين أمام الموت ! تلك القذيفة هي عدالة الموت، وظلم الحياة .

خوف أمي جعلني أشعر بالذنب لعودتي ، جلست أمامها وأنا أخلع سترتي الشتوية .

قالت لي:

- لماذا عدت الآن؟؟

كل الذين في مثل سنك يسافرون بعيداً عن جحيم هذه الحرب .

كنت أظن أن شوقها إلي سينسيها أن تطرح هذا السؤال!

- أمي لقد قتلَ الرصاص في كل ما يمكن أن يقتلهُ و قتلَ أشياءَ لا تموتُ عادةً بالرصاص كالأبتسامة و الأحلام و الذكريات، أنا يجب أن أعود على خلاف البقية، ثم إني اشتقت لك كثيراً وإلى نكهة طعامك .

- هل تخبرني أن مصر لا يوجد فيها طعام شهي؟

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

- يوجد بالتأكيد، لكن هناك مكونان لا وجود لهما إلا في يديك، هما الحب والحنان ـ أنتِ تصنعين الطعام بكثير من الحب، وبفرطٍ من الحنان .

صمتُ برهةً وأكملت مازحاً:

- علمتِ الآن لماذا عدت، أليس كذلك ؟

ابتسمت:

- علمت وسأعد لك الطعام .

‹ مدّدت قدمي على الأريكة التي أجلس عليها،لم أشعر إلا ورائحة الطعام الشهي على الطاولة، لقد نمت لساعتين، ولم أشعر بسبب إرهاق السفر .

و ما إن بدأت بالأكل، حتى سألتني بإصرار وبعينين حادتين:

- آدم لماذا عدت الآن؟؟؟

لم تكن تستطيع أن تخفي أسئلتها أكثر من ذلك، أعدَّتْ الطعام كمن كان يعد شركاً أو فخاً، توقفتُ عن الأكل، ونظرتُ إلى عينيها بثقة

- لأنني أحب دمشق، ولأنني قطعتُ وعداً:

«عندما تحتاج الذكريات لمن يدافع عنها سأكون هنا»

قاطعتني بغضب:

- لكن دمشق لا تحبنا ـ دمشق لا تحب أحداً، و لا تحمل لنا سوى الموت

- أهذا كلام ينبع من خوفٍ علي؟ أم من قلب لطالما أحب دمشق؟!

- من حقي كأمٍ أن أخاف عليك .

- بالطبع لكنني أصبحت كبيراً، و دمشق مدينتي أعود إليها لأحمي ذكرياتي

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

لأدافع عن طفولتي فيها، لقد عدت من أجل مدينة لم أشعر بالدفء كما شعرت داخلها، دمشق منحتني شهقة البكاء الأولى عندما ولدت عارياً .

أدينُ لجسدها الجميل، بعذريةِ الخطوة الأولى لي، عندما كنت لا أتجاوز التسعة أشهر .

لا أريد أن أتحول إلى طيف إنسان فقد ماضيه لن يكون لنا مستقبل، إن لم يكن لنا ماضٍ نقف عليه بثبات، يجب علينا جميعاً أن نؤمن بهذا، لكي نتمسك بكل شيءٍ جميل حظينا به ذات يوم .

- لكن يا ولدي وجودك لن يغير شيئاً.

- لا لن يغير شيئاً، ولكن عندما تصل هذه الحرب إلى خاتمتها سيكون هناك وقت ليبحث الناس عن الحقيقة التي سأجدها بعدستي.

- ألن يكون ذلك خطراً عليك؟

قالتها بشيء من الخوف، ولأطمئنها قلت :

- بالطبع لا، أنا مصور وستنتهي مهمتي بالضغط على زر التقاط الصورةِ فقط .

ابتسمتُ لها لأمنحها شيئاً من الأمان حتى وإن كان زائفاً.

- يجب أن أذهب لزيارة جلال .

- نعم إنه شابٌ طيبٌ جداً، لم يكف عن الاطمئنان عليّ طوال فترة غيابك، لكن لا تتأخر، لم يعد هناك ذاك الأمان الذي يحررك من عقارب ساعة الخوف خرجت وأوقفت سيارة أجرة، أصبح الطريق الذي كان يستغرق عشر دقائق، يستغرق نصف ساعة مع كثرة الحواجز الأمنية،

والازدحام المروري الذي تصنعهُ شيءٌ آخر كان يجب أن أتقنه؛ إعادة ضبط التوقيت الذي أستغرقه لأصل، فالجدول الزمني الذي كنت أعمل به قبل سفري لم يعد صالحا .

وصلت إلى منزل جلال ، طرقت الباب عدة طرقات بيدي .

صوتُ جلال:

- من في الباب؟

- آدم

جو الرعب الذي تفرضه الحرب، يمنعك أن تعبث بقلق الآخرين .

فتح الباب فرآني:

- آدم أيها المجنون لقد اشتقت لك، «عانقني بحرارة» .

- سعيدٌ جداً برؤيتك يا جلال

كان الحديث بيننا يدل على أننا التقينا البارحة فحسب .

- كيف كان فيلمك الجديد–هل انتهيت من تصويره؟؟

- بالطبع، وأتمنى أن يلقى نجاحاً.

- أخبرني الآن، كيف وجدت دمشق بعد عودتك؟؟

- أتعلم؟! كنت أظن أن في الفيسبوك واليوتيوب مبالغة في وصف مشهد الموت في دمشق، لكن الخوف الذي يتنفسهُ الناس هنا، أسوأ بكثير من الموت .

- دعنا ننسى ذلك الآن لم تشتق إلي أليس كذلك؟!

- أنت محق بذلك طبعاً، والدليل أنك أول من أزوره بعد عودتي .

- لكن هل حقاً جئت لزيارتي ؟؟

أقصد هل شوقك لي هو ما دفعك لزيارتي؟

- بالطبع، ماذا سيكون غير ذلك؟

- سيلينا .. مثلاً !!!

- لا... ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟

- آدم لطالما كنت فارغ الحيل للكذبكيف حال سيلينا؟ أليس هذا السؤال الذي تود أن تعرف إجابته دون أن تكون مضطراً لطرحه؟؟

لقد قرأت هذا السؤال على شفتيك منذ أن دخلت المنزل .

«ارتباكي كان اعترافي الصريح بحقيقة ما قاله، أكمل حديثه .»

- لم تغادر سيلينا مخيلتك أبدا .

«صمت قليلاً»، و أكمل:

- ما تود أن تعرفه موجود داخل كتابها ، صحيح ألم أقل لك أنها طبعت كتابها الأول؟

لقد دعتني أيضاً إلى حفل توقيعه منذ ما يقارب الثلاثة أسابيع .

«تناول الكتاب وأعطاه لآدم ـفتح آدم الصفحة الأولى، المقدمةُ بضعة كلمات كانت أشبه برصاصاتٍ تعبر إلى قلبه، عبر عينيه .

﴿ المقدمة ﴾

«كان حبنا ينجبُ كلَ تسعةِ أيام طفلاً من الذكريات

كيفَ استطعتَ أن تقسو على أطفال ذكرياتنا ؟

ألا يؤلمكَ أنهم بعد فراقنا أصبحوا أيتاماً ؟

«لقد كانت تلعنه في كل حرفٍ من ذلك الكتاب، كل كلمة كانت قنبلة موقوتة للانفجار في وجه أدم عندما يفتح الكتاب وتمر عيناه عليها، فانتقل إلى الصفحة الأخيرة، أراد أن ينجو من تنكيل ثلاثمئة صفحةٍ بهِ، كالمستجير من الرمضاء بالنار كانت تلك الصفحة الأخيرة عليه .

صفحة ٣٠٠

«جاء ذلك اليوم قلتُ فيه أنني سأستيقظُ من النوم و لن أتذكرك، لكنهُ جاء باكراً جدا، جاء حين ظننتُ أنهُ لن يأتي، و سقطت معهُ تلك الأسطورة التي كانت تحيط بك بأنك عصيٌ على النسيان، لا أملكُ لكَ الآن سوى صلاةً سأتلوها على ضريح ذكراك في قلبي .

لقد كذبوا علينا عندما أخبرونا أن الحب عالم خاصٌ هادئ متناهي السعادة الحب هو معركة تخوضها قلوبنا علينا أن نكون بارعين فيها، يجب أن نعلم متى نتقدم ومتى ننسحب، متى نعلن الحب ومتى نعلن الاستسلام، من نحميه في ذاكرتنا ومن نطلق عليه رصاص النسيان»

«كانت خديعةً أدبيةً»

مقدمةٌ كتلك، هي اعترافٌ صريحٌ بأنه عصيٌ على النسيان، وخاتمةٌ كهذه كانت إقراراً بأنه بقي حياً داخلها برغم كل الرصاص الذي أطلقتهُ عليه ونجا من كل المعارك التي زجته بها، بأمل أن تغتاله شظيةُ نسيان تحررها منهُ، لكن أدم لم يكن ليكتشف تلك الخدعة الأدبية بل على العكس من ذلك .

«بعد كل الضرر الذي استطاعت بضع كلمات أن تحدثه داخلي، أيقنتُ أن سيلينا ليست أنثى واحدة بل هي قبيلة من النساء» - راجعَ فصول معرفته بها -

أنثى من الحرير وحاشيتها من الفراشات ، كانت تلك سيلينا ، الفتاة الجميلة الرقيقة، عندما التقيتها أول مرة مع صديقاتها قرب حديقة، وعندما سرت معها ذات يوم عبر أزقة دمشق القديمة تحت المطر الذي كان يلاطفها هي والياسمين ، ويمزج رائحتهما معاً في الهواء كانت أنثى من الياسمين وحاشيتها من المطر وعندما أطفئت سيجارتها في جسد ذكرياتنا على طاولة فراق كانت أنثى من النار وحاشيتها من الرماد ، والأن بعد أن استطاعت أن تدفنني بين دفتيّ كتاب أعلم بأنها أنثى من الكلمات و حاشيتها من الورق»

أغلق آدم الكتاب ، قال لجلال :

- لقد كان لدي منزلٌ كبيرٌ في ذاكرتها، هجرتهُ و الآن أسكن شقة مفروشة في الغياب .

- هل كنت تظن أن فتاة كسيلينا سيحطمها رحيلك؟

- لا بالطبع أعلم أنها فتاة قوية ستستمر معي أو بدوني .

«أطرق رأسه إلى الأرض، كان يحبس دموعه، أكمل جلال حديثه:

- آدم لم تصر على أن غيابك يجعل هذا العالم مكاناً أفضل؟

- لا أعلم . . . لا أعلم، يجب أن أمضي، لقد تأخرت .

وقبل أن يخرج من باب المنزل قال له:

- آدم ـ لقد سألتني سيلينا عنك .

التفتَ إليه .

- عندما ذهبت لحفل توقيع كتابها سألتني عنك «كيف حال آدم»

«لم يستطع آدم إخفاء ابتسامته، وفرحته بسماعه هذا السؤال،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

قال له جلال:

- نحن لا نموت مرة واحدة، بل نموت كثيراً لكن دون أن نشعر، نظن أننا على قيد الحياة بمجرد دخول الأكسجين إلى رئتينا، هذه هي خيانة الجسد للروح، يعيش حتى و نحن مدفونون تحت أنقاض أحلامنا، و ركام طموحنا ، مرتدين الثياب الرثة لمشاعرنا، شيءٌ واحد يمتلك القدرة على إعادتنا إلى الحياة، إنه الحب، أليس كذلك يا آدم؟

غادرتُ بيت جلال وأنا أحمل تفاؤلاً ضئيلاً سببه سيلينا بكل تأكيد، لم أكن طماعاً إلى حد أن أقنع نفسي بالعودة إليها، أقصى ما كنت أتطلع إليه أنها على الأقل لا تكرهني!

لكن حتى هذه السعادة الصغيرة كان مقدراً لها أن تموت، لا يمكنك أن تكون سعيداً بمدينةٍ يحيط بها الموت من كل جانب، مدينةٌ يتربص بك فيها الموت بكل خطوة .

الشارع خلا إلا من بعض المارة، أولئك الذين تضطرهم ظروف الحياة القاسية للخروج من منزلهم بعد السادسة مساءً، تفقدت الساعة في هاتفي النقال، كان هناك سبع مكالمات فائتة من أمي .

حمى الاتصال: ترتفع نبضات قلبك، ويزداد الخوف والقلق داخلك، مع كل مكالمة لا يجيب فيها من تتصل به، فتبدأ الأفكار السوداء تستحوذ عليك شيئاً فشيئاً، وفي كل دقيقة تمر، يقفز إلى مخيلتك سيناريو جديد، يكون أكثر فزعاً من سابقه، حمى الاتصال هي إحدى آثار هذه الحرب أيضاً .

لم يكن هناك حاجة أن أعاود الاتصال بأمي، كنت قد وصلت إلى المنزل،

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

استقبالها لي بلهفة كلما عدت إليها، يجب أن أعتاد عليه أيضاً.

الليل في دمشق مليءٌ بالكوابيس .

الساعة الأولى من صباحِ كل يوم ستمضيها في إقناع نفسك أنه مجرد حلم مزعج، ازدادت تلك الحالة بشدة عندما بدأت بالعمل، وبتوثيق ما يجري في تلك الحرب البشعة المجنونة، بالطبع اخترت أكثر المناطق خطراً متجاهلاً كل التحذيرات التي يقيدني بها الجميع، أردتُ أن تصل عدستي إلى حيث لم تصل إليه عدسات الآخرين .

ثمن الحقيقة كان مكلفاً دائماً، ومن قال أن الحقيقة رخيصة الثمن في الواقع كان يروج لتسويق الكذب، الدمار الذي يشوه جسد دمشق الجميل لا يمكن وصفه، أو حتى تخيله، شيئاً فشيئاً أصبحت أوقنُ أن ما يرويه لك ركام منزلٍ مهدم عندما تدخل إليه، لن توصله لك عدسة كاميرا .

ترتيب أثاث المنزل يخبرك أن ساكنيه لم تكن لديهم نافذةٌ صغيرةٌ من الوقت لتثمين الأشياء، وانتقاء ما يستحق أن ينجو منها، و الصور المبعثرة على الأرض تحمل تفاصيل عمرٍ كان يلفظ آخر ذكرياته على البلاط، حملت تلك الصور، وأخذت أتحسسها ،كطبيبٍ يلامس جسد مريضٍ ليستشعر ألمه، ربما لأنني مخرج كان متاحاً لي أن أعبر إلى آلامها عن طريق اللمس ونافذةٌ مفتوحة لم تغلق على عجل الرحيل تسمح للفصول أن تعبث بهذا المنزل الصغير، هي التي كانت تقي عائلة من برد الشتاء وحر صيف، تُرى هل كانت تعلم أنها ستقوم بعملها آخر مرة، وستبقى مفتوحةً إلى الأبد .. ؟!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

وعندما تصل عيناك وأنت تتجول بهما في زوايا ذلك المنزل إلى لعبتهِ الصغيرة، ستوقن أنها تنزف حنيناً ليديّ طفلٍ، أقام عليها مجلس الدموع وهي مرميةٌ بعيدةٌ عنه، تواجه وحشة الفصول وحدها، كيف لا، و عالم الطفل لطالما كان يدور حول أمهِ وأبيهِ، ولعبتهِ الصغيرة .

لا تدخل إلى منزلٍ كهذا وتخرج منه كما كنت أبداً، ضريبة الحرب!

الكذبة التي نقنع أنفسنا بها باستمرار لتقبل الواقع بوحشيته، ستشعر كم هي سخيفة وكم كنا سخفاء معها عندما بررنا مجازر الذكريات بها لكثرة المشاهد القاسية التي أصبحتُ أراها في تلك المناطق المنكوبة أصبحت أخرج كل يوم بعشرات الصور المميتة، شعرت أني أحمل الموت في جيبي عندما استوقفني أحد الحواجز الأمنية وسألني ماذا تحمل في حقيبتك؟

أجبته:

- أحمل الموت

«لم يكن ليعلم ما قصدته بكلامي»، لكنه عندما فتش حقيبتي ورأى الصور ضحك ساخراً، وقال لي:

- ستعتاد على ذلك .

« أعتاد على ذلك؟!»

هل هو أمرٌ جيدٌ أن أعتاد على ذلك؟!

هل يدرك العالم الآن ما يحدث لهذا الشعب الطيب، أعلم أنك قد تكون بعيداً مئات بل آلاف الكيلومترات عن مسرحنا المميت، و تتابع التلفاز وأنت تجلس في منزلك، و قد تكون إنساناً طيباً فتراودك فكرة أن تدعو لنا،

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

لكن صدقني لم يعد الدعاء يفعل لنا الكثير، هل جربت أن تغمض عينيك و تعيش ما نعيشه فعلاً!؟

صدقني كل ما تشاهده على التلفاز أو الانترنت لا يقترب من الحقيقة، فهي أقسى من ذلك بكثير.

تذكرة الموت

‹ القرارات التي تغير حياتنا تتخذُ على عجلٍ ، دائماً يكون عمر التفكير بها لا يتجاوز ثوانٍ قليلة، ومن قال أن الحياة تمنحك فرصة ثانية لم يأخذ رأي القدر في ذلك .

طفلٌ صغيرٌ يبكي، يطلق نداءات الترجي وسط مجموعةٍ من الرجال المدججين بالأسلحة، وصوت ضحكاتهم وسخريتهم تجوب ذلك الشارع، بكثير من الاستفزاز والتكبر .

تأملت هذا المشهد في داخلي مئة مرة خلال خمس ثوانٍ، والوعد الذي قطعتهُ أن أبقى بعيداً يتصدع مع كل ثانيةٍ تمر، وأنا أحدق في عيني ذلك الطفل الصغير.

اقتربت منهم ، أصبحت على مسافةِ ما يقارب العشرة أمتار، صرخ بي أحدهم، ملوحاً ببندقيته في وجهي، رفعت يدي ممسكاً بالكاميرا، مشيراً له أنني مجرد مصور أشار بالاقتراب أكثر، كانت عينا ذلك الطفل تقيم جسراً مع عيني، لقد رأى فيهما نجاته ورأيت فيهما هلاكي، و ما إن أصبحت قربهم حتى هرع إليّ ذلك الطفل، وأمسك بيده الصغيرة إصبعي، كان بريئاً، يكفيه إصبعاً واحداً ليشعر بالأمان، اختبأ خلف ظهري .

قسوة هذا العالم كانت تستعرض نفسها داخل عينيه الدامعتين، أيقنت سريعاً أن إنقاذ هذا الطفل، كان يتطلب القيام بعمل يشبه الانتحار، وكالذي يعرض لحمه على وحوشٍ جائعة، قلت له:

- لقد كنت صغيراً ذات يوم -لم يكن بحاجة للكثير لكي يثور -

«السلاح في يده تذكرةٌ سريعةٌ للغضب، سلاحه بالنسبة له، يمنحه مرتبةً في الإنسانية تفوق مرتبتك»

أجابني بحده:

- ماذا ؟! أكملت:

- أي متعة تجدها في تعذيب طفلٍ صغير!

سألني: من أنت؟

- لا أظن أن ما يجري بيننا هو حلقة تعارف، لذا لا حاجة لك أن تعرف ما اسمي .

«لمس بفوهة بندقيته كاميرتي باستخفاف»

- أنت مصور أليس كذلك ؟!

لأي قناة تعمل؟؟

- أنا مصورٌ مستقل

«كلمة مستقل بالنسبة لهم كانت تشكل تهديداً، لا حياد في هذه الحرب ـ

قال لي: لصالح من تعمل ؟

لصالحنا أم لصالحهم ؟

معنا أم معهم ؟؟

نحن أم هم ؟؟

«كان حريصاً على الحصول على إجابتي»

نظرت في عيني ذلك الطفل الصغير و تمتمتُ بشفتي:

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان amer.suliman.92

- لم يعد لسان الضاد يجمعنا يا صغيري -عدت بعيني إليه و قلت بصوتٍ عالٍ
لم أكن أعلم أنكم أصبحتم بارعين باستخدام الأحرف الموصولة هكذا.
لم أكن أعلم أنكم أصبحتم بارعين باستخدام اللغةِ العربيةِ حدّ التفكك

- هذه هي الحرب، لكل منا قضيةٌ يقاتل من أجلها .

- لا أظن أن قضيةً تتغذى على خوف طفلٍ صغير، تعلم للعدالة طريقاً

« ازداد غضبه»، أكملت محاولاً امتصاص غضبه:

- ألا ترى حجم الدمار الذي يحيط بك؟

أجابني ببرود:

- لا تقلق، عندما ننتصر سنعيد البناء .

- ماذا لو لم نكن نستطيع إعادة البناء .. ؟

ماذا لو كانت لتلك الحجارة روحاً، ورحلت مع غياب من كان يصنع لتلك الحجارة ذكرياتها؟ دمشق لوحةٌ للموت تشتركون جميعكم في رسمها.

- في بعض الأحيان يجب أن نخوض الحروب للوصول لأهدافنا، و غاياتنا، و حقنا الذي نراه مشروعاً لنا، يجب أن نستعرض القوة لتصبح تلك الأهداف راسخة في أذهان الجميع، وليكون لنا بضع صفحات في كتاب التاريخ، الإنسان لا يقرأ التاريخ إلا إذا كان مكتوباً بالدم .

- عيبُكم أن شريط ذكريات الحرب لديكم قصيرٌ جداً، يختزن فقط انتصاراتها، و مكاسبها، ولا يحتوي الجانب الآخر للحروب .

نحن نخسر حروبنا عندما تنجح الحرب في انتزاعنا من إنسانيتنا، و تحويلنا إلى وحوشٍ، تشعرها رؤيةُ الدماء بالنشوة .

يجب أن تعلم جيدا أن الإنسانية داخلنا مقسمة إلى أجزاء، وكلما فعلت ما يسيء إلى إنسانيتك فقدت جزءاً منها، لكنك إذا ما قتلت إنساناً، فقدتها كلها دُفعةً واحدة، ولم يتبقَ لك منها إلا رداءك البشري .

«قال لي باستخفاف»:

- لست أول رجلٍ يتحدث أمامي بهذه الطريقة، عندما نحتفل بالنصر، ستقفون أمامنا بصمت .

« أجبته مغتاظاً من رده اللامبالي»:

- حسناً و عندما تنتظر تلك الأم ابنها، و تهيئ عينيها لتعانق عينيه، بالطريقة ذاتها التي ودعتهُ بها آخر مرة، ويخذلها انتظارها ولا يأتي .

«أخذ ينظر إلى الرجال الذين يحيطون به، كان تساؤلاً لم يفكر به يوماً، أكملت متهكماً:

- صدقني، عيناك لن تفيان بالغرض .

و يجب أن تعلم أن كل الانتصارات التي بنيت على أجساد المساكين، وآلام المستضعفين سيتقيؤها التاريخ الإنساني عند أول صرخة ضمير داخلنا.

«لم أعد أستطع أن أطبق فمي على جمر الكلمات»، فأكملت:

- تريد أن تحتفل بالنصر أيضاً ؟

بعد موتٍ كهذا يصبح الاحتفال بالنصر وقاحة .

«كان غيظُ عينيه يعكس غضبه، وأصبعه الذي يتسلل ببطءِ إلى زنادِ بندقيته،

يقرع أجراس الخطر في أذني، علمت أنني أغازلُ الموت، لكن لا مجال للتراجع، فعندما تقف أمام الموت يمرُ شريط ذكرياتك أمام عينيك دفعةً واحدة، تكون أمامك بضعُ ثوانٍ فقط، و لا تعلمُ عند أيٍّ من الذكريات تقف، أيٌّ منها تلك التي تستحق أن تغمض عينيكَ عليها لآخر مرة؟

كنتُ أشاهدُ موتي عبر ثقب باب، أراهُ و هو يرتدي معطفهُ الأسود و يضع ربطة عنقه و يمسح حذائه و يقترب من مقبض ذلك الباب قادماً نحوي .

هكذا هو الموت، أنانيٌ جداً، يختارُ الوقت الذي يناسبهُ هو فقط، لا يهتمُ أيَّ قميصٍ ترتدي حين تأتي إلى موعدك المجهول معهُ، و لا أيَّ حذاءٍ تنتعل، و لا يحصي عدد الأزرار التي تزررها بعبثية قبل خروجك من منزلك إلى موعدك الأخير،يقبلنا بفوضانا بوداعاتنا الأخيرة، التي تُختزن كأرشيفٍ يحمل نظرات عينيك و حركات يديك، وآخر كلماتك، أرشيفٌ يُختزن في ذاكرة كل من يحبك، وكل من أحبك يوماً، أرشيفٌ سيتم تكراره بإصرارٍ في محاولة يائسة لاسترجاعك قبل أن يحكم الغياب قبضتهُ عليك، و يزج بكَ عميقاً في سراديب النسيان، لقد اشتريتُ تذكرةً للموت، كانت رخيصةً جداً، اشتريتها فقط بالكلمات .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الفصل العاشر

كان داخل مخيلتي حلمٌ بسيط برائحة الطفولة، لكنَّ الواقع كان أباً سكيراً يعذبُ حلمي كل ليلة

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الحلم الذي ولد مشوهاً

ماذا لو أخبرك الطبيب بعد أن تستيقظ من حادث تعرضت لهُ أنك وسط اختبار قاسٍ للصبر، اختبار سيقيس أعلى درجات تحملك .

ماذا لو أخبرك أن الذي تعرضت له سيغير حياتك إلى الأبد، ويعيد بناءك من الداخل، وأنك لن تعود كما كنت أبداً .

والآن !

ماذا لو أخبرك أنك قد فقدت قدميك؟؟

فتح عينيه فوجد جلال يقف قربه، وعيناه ممتلئتان بالحزن الممزوج بالأسى.

هذا الأسى كان حتماً بسبب ما حدث له لكن آدم شعر أنهما محملتان بأسى من نوع أخر، أسى اعتدنا أن نمنحه مع قليل من الشفقة، لمن فقد شخصاً عزيزاً عليه .

«لكنني هنا يا جلال، لازلت حياً، لماذا هذه النظرات؟»

- جلال أين أمي ؟!

- إنها في الرواق تحاور الطبيب .

«كان هنالك تبادلاً غير مفهومٍ بالأدوار، أليس من المفترض أن تكون هي من تقف بقربي، وأنت من يحاور الطبيب؟

«طرح آدم هذا السؤال بنظراته دون أن ينطق بحرفٍ واحد»

أخذ جلال يبحث عن شيءٍ يخفي به ارتباك المشهد في عينيه، وجد قنينة الماء قرب السرير، تناول كأساً زجاجياً وحمل القنينة بيده .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- أنت تشعر بالعطش حتماً.

- أجل يا صديقي ـعطشٌ صنعه جفاف الحقيقة في عينيك .

«أحسَّ أنه يريد أن يقول شيئاً، لكنه يخفيه لسببٍ ما»

آدم كان متأكداً أن ما تخفيهِ عينا صديقه، ستفضحانه عينا أمه .

بعدها لم يمضِ أكثر من ثلاث دقائق، حتى غاص به المخدر إلى عالم سيؤجل عذابه الأبدي، خرج صديقه إلى الرواق، حيث كانت والدة آدم تجلس على مقعد الانتظار مرتديةً معطفاً أسود، ووشاحاً صوفياً بلونٍ قرميدي، كان من السهل على كل من يراها أن يعلم أنها ارتدت ملابسها على عجلٍ، جلس جلال قربها، لم تكن تبكي أبداً، بل كانت تركز بصرها على الحائط المواجه لها دون أن ترف عينها .

ضمها إليهـقالت له بصوتٍ يرتجف:

- ماذا يعني هذا ؟؟

هل سيكمل أدم حياته عاجزاً عن السير؟!

ألا أستطيع أن أعطيه قدمي؟!

لقد تطور الطب أليس كذلك؟

«نظرت إلى جلال نظرةً ترجوهُ فيها بأن يكون المستحيل ممكناً»

أخذ يبكي محاولاً إخفاء تلك الدموع التي تملئ وجنتيه، وقبلها على رأسها.

مضت ساعة من الوقت سريعاً، قالت لهما الممرضة:

- لقد استفاق الشاب الذي في هذه الغرفة ويسأل عن أمه!

نظر إليها جلال، وقال لها:

- هيا لأساعدك على النهوض، تعلمين أنه يجب أن تكوني قويةً أمامه أليس

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

كذلك؟

نهضت عن مقعدها متثاقلة، حتى خُيل لجلال أنها لن تستطيع النهوض، لكنها ما إن استقامت، حتى رتبت هندامها، ومسحت دموعها بوشاحها الصوفي، ومضت إلى غرفته بثبات، كان محاطاً بالأجهزة الطبية، يفتح عينيه بنصف اتساعهما، وقف جلال خلفها واضعاً رأسه على كتفها.

قال آدم بصوت حزينٍ مثقلٍ بنبرة من الألم :

- أمـــي!!

«أمي» ثلاثةُ أحرفٍ، ما إن يصادفنا أي ألمٍ في الحياة حتى تكون هذه الأحرف الثلاث ملجؤنا، ويعلم آدم أنها كل ما يمتلك الآن لطرد الألم، هذا ما كان يحاول أن يفعله .

اقتربت أمه واحتضنت يده، ومسحت بيدها على جبينه وقبلته قبلةً ناعمة.

- حبيبي أنا بجانبك ـبماذا تشعر الآن؟

هل تتألم؟

- أشعر بوخزٍ في كامل جسدي، وألمٍ في رأسي، لم يلبث أن قال لها هذا حتى انفجرت بالبكاء، محتضنةً رأسه، صارخة باسمه .

- آآآآآآآآآآآآآآدم

م يعلم ما يجري، حتى رأى عينيها تتجهان إلى أسفل السرير، حيث قدميه أسند رأسه للأعلى قليلاً وأمسك بيده التي لا تزال بقع الدم عليها، بالغطاء الأبيض الذي يغطي جسده، وأخذ يرفعه ببطءٍ إلى أعلى، ويتعالى شهيق أمه بالبكاء، أزال الغطاء عن قدمين مقطوعتين من أعلى الركبة، التفت جلال

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

بوجهه نحو الحائط، والممرضة التي كانت تراقب من باب الغرفة انهمرت دموعها، وأمه أمسكت بيده وحاولت أن تحتضن رأسه .

خلت الغرفة من أي صوت عدا صوت بكاء أمه، أبعد رأسه عن يديها، وأعاد بصره إلى ذلك الجزء المفقود من قدميه، غصت عينيه بالدموع ، لكنه لم ينطق .

استلقى على الوسادة خلفه، و كالمتدلي من حبلٍ مشنقةٍ،لم يبقَ لهُ سوى بضع كلمات ليقولها، لكنها تساوت كلها في الألم، ففقدت معانيها، وأصبحت كلها متشابهة،لم يتحدث أبداً ولم يصرخ، حتى لم يعر اهتماماً لكل النظرات الحزينة التي تحاصره .

سؤالٌ واحدٌ قفز ليكون الأول بين عشرات الأسئلة التي كانت تتسابق لتحظى بإجابة:

« الآن، وبعد أن فقدت قدميّ، من الذي سيراقصكِ سيلينا ؟؟؟ »

فرض الصمت حاشيته من الدقائق على هذا المشهد .

ما حدث أذهل الجميع، حتى جلال توقع من خلال معرفته بالنفس الإنسانية، أن يكون صوته مجلجلاً، لم يتوقع هذا الهدوء، لكن آدم بقي صامتاً، التفت إلى أمه، تأمل عينيها وهو يبتسم، وأغمض عينيه على دمعتين جالتا مقلتيه، وسرحت منهما بهدوء، كمن كان راضياً بقدره، أو كأنه يظن نفسه في كابوس سيستفيق منه في أي لحظة، لكن صمته كان ضريبةً تفرضها بعض الأقدار التي تقتحم حياتنا، وتكون الكلمات غير مصمَّمةٍ لتحمل هذا الكم الهائل من الألم، لذا لا نملك أن نعبر عن فاجعتنا إلا بالصمت .

أنت ممتلئ بالصراخ، لكنك تشعر كما لو أنك في قاعة مليئة بالحضور، وتصرخ

بأعلى صوتك، ولكن لا أحد يلتفت إليك .

اللحظات القليلة التي كان آدم يستفيق فيها، هي عندما كان الطبيب يحقنهُ في وريده، يشعر بتلك الوخزة الصغيرة، وينام بعدها .

حقنة المخدر أو النسيان كما يسميها آدم، تدخله عالماً للنسيان كان يخشى أن تضيع فيهِ صوره الجميلة من حياته التي مضت، باتت الآن تلك الصور كل ما يملك .

نعم كان فقيراً جداً ـفقيراً حدَّ الذكريات .

في بعض الأحيان الفقر الحقيقي لا يكون بالمال بل بالذكرياتـ أن تعيش عمركَ و أنتَ خالٍ من ذكرياتٍ جميلة كنتَ تبتسمُ بها ذات يوم .

كان آدم يهمس للطبيب عندما يدخل الحقنة في وريده بلهفةٍ، وعينينِ دامعتين، وصوتٍ يختنق .

« أرجوك !

أرجوك لا تحقني بالنسيان أنا مليءٌ بالذكريات» .

على مدار يومين لم تخلُ الغرفة من زائريها، إلا لتمتلئ بغيرهم، ثلاثة أشخاص لا يتغيبون، أمه التي لم تفارقه، جلال الذي لا يغيب إلا لبضع ساعات، ليعود محملاً بالطعام والعصائر، والشخص الثالث هو تلك الممرضة .

كان اسمها سارة، سألها جلال عن اسمها لكثرة الآثار التي خلفتها دموعها على باب الغرفة، تأتي لتتأمل آدم كل ساعةٍ أو ساعتين .

فضوله قاده لسؤالها، ما الذي يجعلك تأتين هذه الغرفة؟!

أجابته:

- من غريب ما نمر به هذه الأيام أننا نغص بالألم حتى نكاد نختنق به،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

ونكون فقراء بالدموع فنحتاج إلى من يمنحنا إياهم .

- محقةٌ في ذلك .

والآن لا أحد يستطيع أن يمنحك إياها كما يفعل آدم .

جاء الجميع، إلا هي !

وقفت على باب الغرفة ترتدي قميصاً أسود، و حقيبةً مليئةً بالذكريات، وشفتين متشققتين من كثرة الصلاة، و خطين من الكحل الأسود سالا تحت عينيها حاشيةً للدموع، تقدمت منه ببطء تتأمل كل الأجهزة الطبية الموصولة إلى جسده، رأت ذلك الجزء الفارغ من السرير، الجزء الذي كانت تخشى رؤيته، تمنت لو أن الأسرَّة تُصنعُ في ١٦٠ سم فقط، كي تخدع نفسها،

كي تكذبَّ عينيها وترى قدميه اللتين كان يراقصها بهما، وهما لا تزالان تملآن فراغ السرير، بدأت الدموع مشوارها، أمسكت يدهُ، وضغطت عليها بقوة، وضعت فمها عند أذنهِ وهمست لهُ:

« لقد أخبرتني ذات يوم عندما كنتُ أبكي أمامك، أنني أصبح جميلةً جداً في حفلات البكاء، لكنك تكره أن أكون حزينة، فأصبحت تصر على أن تجعلني أبكي فرحاً، هذه الدموع الآن دموع حزن، ولكن لا بأس بها.

لو أنك تعلم يا آدم !! -اختنق صوتها بالدموع ، تمالكت نفسها ثوانٍ و أكملت -

لو أنك تعلم أنني كنتُ ألعنك بكل حرف في كتاباتي، كنتُ أقرأ على اسمك في قلبي ألف صلاة، وكانت تطوف دموعي حول ذكراك، و الآن لا أدري إن كانت هذه الدموع ترثيني أنا أم تعبدك أنت .

أغمضت عينيها، و قبلته على شفتيه، ومضت .

الفصل الحادي عشر

كلنا مدينون لله بالموت
وكم أرغب أن أسدد
ديوني باكراً

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

القدر يسترد ديونهُ

لكن الموت كان بالنسبة له ترفاً غير متاح، مع وجود كل هذه الأجهزة الطبية التي كانت مهمتها أن تبقيه على قيد الحياة على قيد الألم .

ممدداً على سريره الأبيض، يتأمل المعدات الطبية التي تحيط به، وجلال يقف قبالة النافذة الزجاجية، يتأمل الطقس الغائم .

قال مخاطباً جلال:

- هل تعلم أن الحزن لا يفنى و لا يتبدد، بل ينتقل من مكان إلى آخر، ومن جسد إلى آخر، ومن إنسان إلى آخر أشعر أنني أختزن داخلي نصف أحزان هذا العالم .

يجب أن يصلي الجميع لبقائي على قيد الحياة، فبموتي سيصبح هذا العالم تعيساً جداً.

قال جلال:

- لابد أنك تفكر بالموت، أليس كذلك يا صديقي؟

تفكر لمَ لمْ ترتفع تلك الرصاصات بضعة سنتيمترات للأعلى لتوفر عليك ما تعانيه الآن، لكن هذه إحدى سمات الموت، لا يأتي إلينا إلا عندما نكون واثقين أنه بعيدٌ عنا، لكنني أعرفك جيداً، أنت ستكمل هذه الحياة .

- لا يا جلال الحياة الآن باتت أقسى مما تظن .

التفت إليه جلال، وتقدم نحوه بخطواتٍ بطيئة، و هو يضع يديه في جيبهِ:

- لم تكن الحياة يوماً سهلةً أبداً.

- جلال!!! هل تتحدث إلي بصفتك صديقي، أم بصفتك طبيباً نفسياً؟؟

- أنت لست بحاجة إلى تلك الكلمات، التي يتحدث بها الطبيب النفسي لأولئك الذين فجعتهم الحياة وأجبرتهم على الهروب إلى متاهات النفس الإنسانية، أجبرتهم على السقوط عن مسرح الحياة بطريقة مؤذية لإنسانيتهم، ومنحوا الشفقة بدل أن يكافؤوا بتصفيق الجمهور، الإنسانية هي رسالة الله إلى هذا الكون، وكل إنسان يحمل داخله بضعة أحرفٍ من تلك الرسالة، الجميع يستطيع أن يحمل تلك الأحرف الممزوجة بالسعادة، لكن نادرون أولئك الذين يستطيعون أن يحملوا نقيضتها الملوثة بالألم والبؤس، وهؤلاء من بنى الله عليهم كونه .

آدم-وهو ينظر عبر النافذة إلى المطر:

- لم وجدت هذه الحياة إذاً؟

- لقد تحدث المخرج (وودي ألن) عن الحياة بشكل مجرد ذات يوم في إحدى مؤتمراته الصحفية .

«أتعلم، لا توجد إجابة تفاؤلية حول قسوة هذه الحياة، مهما تحدث الفلاسفة، ورجال الدين، وعلماء النفس. جوهر هذه الحياة أن لها أجندتها الخاصة، ولا تسير كيفما نريد، وأننا جميعنا سوف ننتهي نهاية سيئة في يوم ما، عاجلاً أم آجلاً، وواجبك كفنان هو أن تشرح للناس لماذا تستحق الحياة أن نعيشها وأنها شيء إيجابي ذي معنى .

الآن، لا يمكنك فعل هذا حقاً دون أن تخدعهم، لا يمكنك أن تكون صريحاً لأن الحقيقة هي أن الحياة عديمة المعنى. أنت تعيش في كون عشوائي بلا معنى، كل شيء حققته مصيره الزوال، الأرض ستزول، الشمس سوف تنفجر والكون سوف ينتهي، وكل أعمال «شكسبير»، «مايكل آنجلو»، و«بيتهوفن»،

سوف تختفي يوماً ما، مهما قدرناها، لذا من الصعب أن تقنع الناس بشيء إيجابي حيال هذا الأمر. لذا فإن استنتاجي هو أن الشيء الوحيد الذي يُعول عليه هو التشتيت. أن تشتّت الناس، فعندما تشاهد مباراة «بيسبول»، أو تشاهد فيلماً ل«فريد أستير» فأنت تفعل شيئاً يشتتك . الآن، ما ينجح في تشتيتي هو أني أفكر «يا إلهي، هل أستطيع جعل «إيما» و«باركر» يفعلون هذا المشهد؟» كما لو أن هذا الأمر يعني شيئاً! إنه أمر تافه في الحقيقة وسأقوم بحله، وإن لم أستطِع فسوف يكون فيلمي سيئاً، لكنني لن أموت حيال هذا الأمر.

لذا هذا ما أقوم به، أشتت نفسي، وصناعة الأفلام هي تشتيت رائع .

هؤلاء الممثلات يأتين لمكان التصوير، يفكرن في أدوارهن وكيف سيؤدينها، ولو لم يفعلن ذلك، سوف يبقين في منازلهن، أو يجلسن على الشاطئ ويفكرن: يا إلهي، ما معنى هذه الحياة؟

سوف أتقدم في العمر، سوف أموت، من أحبهم سوف يموتون، هل سأصاب بالصلع؟ ماذا ترى سوف يحدث لي؟ لذا كل ما يجب فعله في الحياة هو أن تشتت نفسك، لتعيش لحظات بعيدة عن مواجهة الواقع، فكل المفكرين العظماء أمثال «فرويد»، «نيتشه» و«يوجين اونيل»، اتفقوا أن كثيراً من الواقع لا يمكن احتماله وهو شيء كئيب أن تفكر بكيفية الهروب من الواقع. لذلك أذهب للسينما، أشاهد فيلماً ل«فريد أستير» وهو يرقص لمدة ساعة ونصف، فأتوقف عن التفكير بالموت، وبجسدي المتوهن ،وبأنني سوف أكون عجوزاً يوماً ما، في المستقبل البعيد» .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- يا آدم أقصى السعادة التي من الممكن أن نحصل عليها لا تعادل لحظة فراق الأم، عندما يغيبها الموت بعيداً، وكل السعادة التي من الممكن أن تحصل عليها فتاة في علاقة حب أسطورية لا تعادل حزنها مستقبلاً ساعة واحدة فقط، إن كان قد قُدّر لها أن تفقد الجزء الذي عاش داخلها ٩ أشهر قبل أن يكمل دورة حياته الطبيعية .

الأم عندما تفقد ابنها لا تدفنه، بل تدفن نفسها، وتحمله في عينيها في محاولةٍ بائسة لإبقائهِ على قيد الحياة .

«تذكر آدم و هو يستمع لحديث جلال الأم التي فقدت أبنائها الخمسة في هذه الحرب، فأصبحت كل صباح تذهب لتقضي أغلب يومها قرب قبورهم .»

في البداية كانت الخيارات سهلة بالنسبة لها، عندما كان اثنان منهم فقط تحت التراب، ولكن الآن تقتلها الحيرة كلما اقتربت منهم.على من ستلقي سلامها الحزين أولاً ؟؟

فتجلس قرب كل قبر منهم قليلاً، عاجزةً أن ترضي حنين التراب .

أمٌ كهذه تتمنى أن تكون عاقراً لكي تغلق السد أمام هذا الحزن، قبل أن يتسرب إليها.»

«صمت جلال برهةً، وهو يراقب شرود آدم، واستكمل بعد أن نظر آدم إليه»:

- أعتذر يا آدم لأنني صورت الحياة بهذه الطريقة، أنا أخالف مبادئ مهنتي، لكنني أعلم أنك لن تصدق أي شيءٍ آخر أقوله لك، و أن شفاءك يكمن في داءك ذاته .

و أعلم أنه يجب أن أمنحك الحزن خالصاً، لتعيده لي مغلفاً بالسعادة، هذه هبةٌ منحها لك الله تستطيع أن تمتص أحزان الآخرين وتحولها إلى سعادة، و لعلّي بما قلته لك أدفعك لتعيدَ صياغة العالم بشكل أجمل و أقل إيلاماً.

- لا تعتذر ـ أنا وأنت نعلم سويا أن الحياة مسرحية، سواء أعجبتنا أم لا، فقد دفعنا ثمن التذكرة .

«قاطعت سارة حديثهما بدخولها»، قال لها جلال:

- أتيتِ في الوقت المناسب كعادتك.

«ابتسمت ابتسامة لطيفة كعادتها»

- صباحُ الخير.

قال لها آدم:

- صباحُ الخير سارة -علت دهشة على وجه جلال-

- سارة! كيف عرفت اسمها!؟

- سمعتك حين كنت تسألها البارحة عن اسمها.

- هل كنت تسمع كل ما كان يدور إذاً.

- لا كنت أسمع ما أنا بحاجةٍ لسماعه فقط.

قالت سارة مقاطعةً حديثهما:

- صحيح البارحة جاءت فتاة لزيارتك.

سألها جلال: كيف كانت تبدو؟

- فتاة جميلة، بعينين ساحرتين و قوامً ممشوق، كانت ترتدي قميصاً أسود، و بنطال جينز أزرق، وكعباً نسائياً جميلاً،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

وتضع نظاراتٍ سوداء بين خصلات شعرها عندما دخلت إلى الغرفة، لكنها عندما خرجت كانت تضعها على عينيها.

أعتقد أنها كانت تخفي دموعها، في الحقيقة لقد لفتت انتباهي بأناقتها، وأثارت غرابتي بموعد زيارتها الثامنة والنصف صباحاً ..!

كأنها كانت تتعمد أن تأتي خارج موعد الزيارة كي لا يكون هناك أحد في الغرفة

التفت جلال إلى آدم، كان للمرةِ الأولى منذ الحادثة، يبتسم ابتسامة صافية خلت من أي حزنٍ أو ألم .

قال جلال:

- لا زال يملك القدرة أن يبعثك إلى الحياة، أليس كذلك؟ (كان يقصد الحب)

سأغادر الآن يا آدم ـلدي بعض الأعمال لأقوم بها، لكن قبل أن أذهب، أتعلم؟ سيلينا تستحق الضريبة التي أجبرك القدر أن تدفعها لقاء قربك منها!

- أجل القدر يسترد ديونه - متمتماً -

«كلمات آدم جعلته يقف برهةً، ليفكر بما قاله»

«القدر يسترد ديونه»

شعر لوهلة أن آدم كان محقاً في ذلك، لكنه طرد فلسفة الخوف هذه سريعاً، و قال، وهو يحدق بسارة مودعاً:

- إلى اللقاء سارة .

«أومأت برأسها، أما آدم فاتجه بعينيه نحو النافذة، التي تستحوذ على أغلب نظراته في تلك الغرفة، لعلهُ إغراء المطر، أو ربما كان يحتاج إلى مدىً واسع لكي يمد عليه حزنه بأكمله .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان

- سارة منذ متى تعملين هنا؟؟

- ٤ سنوات .

- وخلال ٤ سنوات، ألم تجدي من هو أكثر بؤساً مني؟

دمعت عيناها وهمّت بالحديث، فقال لها آدم:

- لا داعي للإجابة على سؤالي قرأتها داخل عينيك، إن كان للنساء امتياز منَّ به عليهنَّ الله، فهو عدم مشاركتهنَّ في الحروب .

- و من أخبرك يا عزيزي أن النساء لا يشاركن في الحروب!؟

الأم التي تودع ابنها الذاهب إلى الحرب، تمنحهُ شيئاً منها ليموت معهُ، و الزوجةُ التي يذهب زوجها إلى الحرب، تمنحهُ كل ما تحتضنهُ جدران منزلها من ذكرياتٍ دافئة، ليبقى معلقاً بأساسِ منزلها بحبلٍ سميك ما إن يموت زوجها حتى ينهار عليها، و على أبنائها، و يخلفهم عراةً أمام برد الحياة .

حتى الفتاة التي يرحل عنها من تحبه إلى الحرب، تمنحهُ وعداً بالعذريةِ الأبدية كما الرهبان!

‹صمتت هنية و أكملت:

- أرأيت الآن يا آدم، كيف يشاركنَ بالحرب أكثر مما يفعل الرجال !

- أنتِ محقة فعلاً، و لكننا كرجال لفرطِ أنانيتنا، اعتدنا أن ننظر في الحروب إلى خساراتنا نحن فقط .

الحرب هي وقاحةُ الرجال، عندما يشعرون بأن هذا العالم أصبح مليئاً بالسعادة، يعيدونهُ إلى نقطة بؤسهِ الأولى، و يفسدونهُ بالحروب .

«غير آدم حديثه، كان يكفي سارة ما تشاهده من حزن خلال يومها،

قال لها وهو ينظر إلى يدها:

- لقد رأيت خاتم الخطبة في يدك؟

- نعم أنا مخطوبة منذ ثلاثة أعوام، نتاج حب أعيش تفاصيله منذ سبع سنوات .

- لمَ لم تتزوجا حتى الآن؟

- بسبب المال، لقد كان يعمل بجد لكي نتزوج منذ سنوات، لكن العام الفائت تضرر عمله جداً بسبب الحرب،لم أدرِ كيف تجاوز الأمر، استمر في اكتئابه شهوراً، وأحمد الله أني استطعت أن أخرجه من حالته تلك، بعد أن منحته جرعات هائلة من الأمل بمستقبلٍ يجمعنا حقاً.

«صمتت هنيهةً، واستدركت»:

- من ذلك الأحمق الذي فرض النقود لشراء الأشياء؟

هل تعلم وحشية أن تتحكم بضعة أوراق بالية بنظرتنا للآخرين ولأنفسنا؟

لو أننا نستطيع أن نستبدل النقود في العالم بالابتسامة!

أن تبتسم بوجه بائع الورود، فيمنحك وردة .

أن تبتسم بوجه سائق الأجرة، فيقلك حيث تريد.

أن تبتسم بوجه الطبيب عندما يعالجك، فيسعدهُ هذا.

أن تكفي صاحب المكتبة «ابتسامة»، ليمنحك كتاباً.

الابتسامة هي أرقى ما منحتهُ يوماً إنسانيتنا، لكننا لم نرتقِ بعد لنستبدلها بالنقود.

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

الأطفال وحدهم من يستخدمون الابتسامة من أجل الحياة، هي جواز سفرهم إلى القلوب .

- أشعر بألمكِ هذه الحياة حقيرةٌ تدير ظهرها للطيبين، وتلتفت بوجهها للآخرين، لكن خطيبك محظوظ بك كثيراً، أنتِ فتاةٌ مميزة يا سارة، وجدت في عينيكِ ما لا أجده في أعين الكثيرين، تلك الطيبة النادرة التي لا يمتلكها في الحقيقة إلا قلة من البشر، نكون محظوظين إن كنا محاطين بأحد منهم

«لم يكد ينهي جملته حتى دخلت أمه، ابتسم لها آدم، وأخذت سارة تراقبهما بحب»

« جلست أمه على سريره من الأسفل، حاول أن يحرك نفسه ليفسح لها المجال، كما لو أنه يمتلك قدمين،كان دافعه إلى ذلك، كبرياء الجسد الذي لا يزال يرفض الهزيمة، يتصرف أمام سارة كما لو أنه لم يفقد قدميه، لم يستطع أحد أن يتخيل حجم البؤس في ذلك المشهد، استأذنت سارة منهما وخرجت بعد أن رتبت الغرفة .

قالت له أمه:

- لقد أعددت الطعام الذي تحبه، قضيت طوالَ مساء البارحة في إعداده

قبل يدها قبلة طويلة، كأنه كان يعتذر لها عما منحها إياه من بؤس الأيام التي مضت، قبلتهُ الطويلة منحته فرصة أن يرتب كلماته، حرك شفتيه هامساً لها:

مُنذُ أولِ يومٍ ذهبتُ فيه إلى مدرستي، و في أولِ درسٍ تاريخٍ عن الحضارات القديمةِ والملكات، حين بدأ كلُ التلاميذ يكثرونَ من الأسئلةِ عن الملكات، و عصورهنّ، و كيف حكمن، و كيفَ كنَّ يمشينَ، وسطَ العامة، قلتُ في نفسي هل هؤلاء التلاميذُ لا يعلمون ما معنى الملكات،

علمتُ حينها كم كنتُ محظوظاً بأنني عاصرت كل الملكات في أمي .

وفي أولِ درسٍ تلقيتهُ في الموسيقى تساءلتُ، هل سمعَ الجميعُ صوتَ أمي؟

إذاً عن أي موسيقى يتحدثون ؟

كانَ صوتكِ بالنسبةِ لي العودَ، و الناي، و القانونَ، و الكمان، و البيانو، و التشيلو، و الكلارينيت، والهارمونيكا، والفيولا.

منكِ تعلمتُ كلَ فنونِ الحساب : الزائد و الطرح و القسمةَ و الضرب .

تعلمتُ أن يكونَ حبي لكِ دائماً زائداً عن حاجتكِ، و أن ناتج طرحِ السنواتِ التي عشتها معكِ من عمري يساوي صفراً، و أنهُ عندما يتعلقُ الأمرُ بكِ فإن الأمر لا يقبلُ القسمةَ على اثنين أبداً، وإنَ ناتجَ ضربِ كل ثانيةٍ بحبك يساوي رقماً متزايداً على الدوام .

أمي!

أنا آسف جداً، كنت أتمنى أن أمنحك السعادة بدل البؤس، أنا خجل منكِ جداً، لأنك ذات ميلادٍ منحتني تذكرةً للسعادة، لكنني لا أدري عند أي محطةٍ من محطات الحياة استبدلتها بتذكرةِ بؤس .

- لا تعتذر يا حبيبي، أنا أشكر الله على بقاءك حياً.

نظرت أمه في عينيهِ بحب ثم أكملت:

- عندما ولدت لم تبكِ، على عكس بقية الأطفال، الذين يبدؤون مشوارهم مع هذه الحياة بشهقة البكاء، لقد كنت مختلفاً عن الجميع، لا أحد كان يفعل ما تفعله، وقبل أن تكبر كانت نظراتك تتجه دائماً إلى ذلك الشيء الكبير الذي ينفتح ويخرج منه والدك، ليعود بعد ساعات،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

علمتُ حينها أن هذا البيت صغيرٌ جداً عليك، وعلمتَ أنت أن خلف هذا الباب هناك عالم كبير ينتظرك، ما إن بدأت تحبو حتى أصبحت تتجه إلى ذلك الباب الخشبي، كنت صغيراً أمامه، تخرج منه قليلاً لتعود إليّ بوجهك الطفولي، ضاحكاً، لتخبرني بابتسامتك البريئة أنك اكتشفت عالماً جديداً عالماً واسعاً.

أحسست حينها أن الله خلق هذا العالم واسعاً، لكي يكون جديراً بعينيك الواسعتين .

وعندما بدأت تذهب إلى المدرسة، وكان الطلاب يتغيبون عن المدرسة عندما يتساقط المطر، تصر أنت على الذهاب، فأيقنت أنك لم تخلق من طين بل من مطر أنت تشبهه كثيراً ، تشبهه حتى في منحك الحياة، عندما سقطت متأثراً بجراحك أعطيت ذلك الطفل فرصة للنجاة الانكسارات هي التي تصنع الإنسان، تعلمه، وتجعله راقياً في حزنه، لا تخفيها عن أحد، بل كن فخوراً بجراحك ، منتشياً بحزنك ، مزهواً بدموعك ، دع الجميع يعرفون أنك مُنحت خيار الرحيل، واخترت أن تبقى .

آدم! لمَ كنت تحاول أن تخفي إصابتك عن أعين تلك المرضة؟

أنا فخورةٌ بك ، لم تحظَ أمٌ يوماً بولدٍ مثلك قط .

«لم يكن بحاجةٍ إلى ذلك الكيس (السيروم) المتدلي من أعلى، كلماتُ امهِ كانت تمده بالحياة حقاً.»

عندما حل الليل كانت أمه مستغرقة في النوم على سرير قربه وهو يتأملها، وينصت إلى السكون .

السكون يمنح الأفكار الجديدة فرصةً للولادة ،

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

و يستحضر المنسية منها إلى الحياة مجدداً.

بقي مستيقظاً فترةً من الليل .

في صبيحة اليوم التالي أشعة الشمس تسللت عبر النافذة ببطء إلى الغرفة، كانت بداية ليومٍ جديد.

دخلت سارة تحمل بيديها إبريق ماءٍ شفاف، كان آدم يفتح عينيه، قالت له سارة:

- الصباح يوزع ابتسامات مجانية عليك أن تستيقظ باكراً كي تحظى بواحدة

- صباح الياسمين الذي يشبهك سارة .

' أجابته وهي تضع الإبريق على الطاولة بهدوء، كان يبدو أنه نوع من الإطراء اعتادت سماعه»:

- يشبهني أنا ؟!

- أجل رداءك الأبيض يجعلك شبيهته بامتياز.

- شكراً كثيراً.

- لا ـ أنا يجب أن أشكرك على ابتسامتك، أشعر بالأمان عندما أراها معلقةً على شفتيكِ .

- هل تريد شيئاً آخر أحضره لك؟

- لا ـ شكراً لك .

استأذنت وخرجت من الغرفة.لم تكد تخرج من الغرفة حتى استفاقت أمه .

- صباح الخير آدم .

- صباح الخير أمي .

«علمت أن آدم كان يراقبها طوال الليل»

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- من كان هنا يا عزيزي؟

- سارة تلك الممرضة الشابة .

- إنها فتاةٌ طيبةٌ جداً لقد ساعدتنا كثيراً.

«نظر إلى الأزهار على الطاولةِ أمامهُ، و قال لها:

- أمي أريد أن أعود إلى المنزل، سئمت هذا العالم الطبي الأبيض الذي يحيط بي.

- لقد قال لك الطبيب أنك تستطيع المغادرة غداً، لكنه أراد أن تطلب أنت ذلك

وأثناء تحاورهما دخل جلال إليهما،كان قد سمع طرفاً من حديثهما، فقال ممازحاً .

- أجل يجب أن تعود إلى المنزل، لقد سئمت هذه المستشفى .

قال أدم : سئمت !؟ طبيبٌ يقول هذا!

- كأنك لا تعلم أني تخصصت بعلم النفس، كي أقلل قدر الإمكان من دخولي إلى المستشفيات .

«نظر جلال إلى والدة أدم»

- خالتي، أرى أن تذهبي الآن إلى المنزل .

« كانت ترفض المغادرة، ترى في نفسها التعويذة التي تطرد الحزن والألم عنه، لكن إصرار جلال وآدم جعلاها تسلم بذلك .

- أماه لا تقلقي سأكون بخير.

«وقفت تلملم حاجياتها وهي تتلفت وتنظر في أرجاء الغرفة،كأنها كانت تخبئ شيئاً منها في إحدى زواياها لكي تشعر بالأمان عليه،

وغادرت وهي تنظر إلى آدم .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

قال جلال لآدم، وكأنه كان ينتظر أمه لتغادر كي يسأله:

- بماذا تشعر الآن؟؟

- لماذا تصر على أني لازلت أشعر؟!

- لأنني أعلم أنك رجل صلب تصعب هزيمته .

كنتَ مؤمناً على الدوام، ولطالما كنت أنا مذهولاً بطريقة إيمانك .

- يجب ألا تلقي الحياة بكامل ثقلها علينا، هناك مستويات من الألم بعدها يصبح الإيمان هشاً .

- لأنها الحياة يجب أن تفعل ذلك .

لا يستطيع أي شيء أن يصمد في وجه الحياة، كل ذاكرة عنيدة، يذيبها النسيان بهدوء .

كل أنثى مكابرة، تغتالها الوحدة ببطء .

كل وجه جميل، يشوهه الزمن بعناية، سمة الحياة الأولى هي التغيير .

لن نتحرر أبداً من سطوة الزمن علينا .

هل تذكر عندما قلت لي ذات يوم أن الإيمان يحتاج إلى مركب متين هو عقلك، وشراع سليم هو قلبك، عندها كل بحار التفكير التي ستبحر فيها ستؤدي إلى الله عندما تجد الخير داخلك لن يسمح الله لك أن تضل أبداً .

ثم في ظل ما نتعرض له من حروب دموية، مجرد بقائنا على قيد الحياة هو إنجاز وتحدي !

«قاطعه آدم بسؤالٍ مباغت »

- هل أنت على قيد الحياة؟؟!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

«أومئ جلال برأسهِ بإبهام، إنه لم يفهم ما يقصده؟!»

أكمل آدم:

- تجبرك هذه الحياة على عدة عمليات بترٍ لأجزاء من روحك.

أجزاء لم تعد بحاجةٍ لها.

أجزاء باتت تؤذيك، وتجبرك أيضاً على عمليات إجهاض لجنين حلمٍ أصبح مستحيلاً.

تجبرك على خياراتٍ لم تكن تشبهك أبداً، خيارات أبعد ما تكون عنها يوماً، والآن .

هل تعتقد حقاً أنك لازلت على قيد الحياة؟

«صمت جلال مندهشاً، جواب هذا السؤال كان الصمت، استرسل آدم في حديثه .

- كل الأثرياء يتبرعون لمرضى السرطان من الفقراء، و لمرضى القلب من الفقراء، يجب أن يتوقفوا عن فعل ذلك، هذه الحياة قاسية جداً بالنسبة لهم .

دعوا الموت يمد لهم طوقَ النجاة، توقفوا عن منحهم تذاكر لمقاعد الصف الأول، لحضور مسرحية الألم .

أنقذوا من تحكم الحياة قبضتها عليهم، و يقف الموت بعيداً عنهم، يراقب ذوبانهم إليه بيأس .

- جلال : آدم أصابني الشك مما ترمي إليه تماماً من حديثك!

أكمل آدم:

- منذ أكثر من عشرين عاماً، طفلٌ صغيرٌ من عائلة فقيرة، كان لديه مرض في القلب، وهو بحاجةٍ ماسة لعمليةٍ جراحية مكلفة،

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان amer.suliman.92

أذكرُ أن الجميع تبرعوا له ليعيش، لم يكن يتقن الكلام حينها لينهال عليهم بالشتائم .

في السنوات العشر ، التي تلت العملية، فقد أمه وأخته في حادث سير، كان مقدراً له أن ينجو من ذلك الحادث بما يشبه المعجزة، بعدها بفترة قصيرة، تزوج والده من امرأة أخرى -عاش كابوساً هائلاً- شعر حينها أنه ورقة خريفٍ، نجت بأعجوبة من فصل شتاءٍ قاسٍ .

دخل فصل الربيع وحيداً، لم يكن فيه شيءٌ ينتمي إلى ربيع الشباب سوى جسده وشعره الأسود والآن بعد أن كبر، غضب من جميع أولئك الذين تبرعوا إليه ليكمل رحلة شقاءه في هذه الحياة، تستطيع أن ترى معي الآن كم أن الحياة والألم وجهان لعملة واحدة، حتى أنك تستطيع أن تستبدل كلمة الحياة بالألم عندما قابلته آخر مرة كان غاضباً كعادته، قال لي:

«جميع الذين تبرعوا لي لإجراء تلك العملية في نظري، شركاء في جريمة بقائي على قيد الألم .»

- آدم لماذا تستحضر كل هذه الذكريات والأفكار القاتمة إلى مخيلتك الآن!؟

- أتمنى!

أتمنى يا صديقي، لو كنت أستطيع أن أصدق أن ذلك الرجل الكبير، الذي افترش قطعةً من رصيف شارع ليعرض بضاعته عليه، ينال آخر كل يوم ما يستحقهُ من المال لا من الذل .

و أن دار الأيتام حقاً للأيتام .

و أن بريق الذهب لا يؤذي أعين الفقراء.

و أن ما حدث لي لم تكن رغبة رجلٍ في القتل، بل شهوةَ بندقية .

أتمنى لو أستطيع تصديق كل ذلك، لكن وللأسف، محكوم عليَّ برؤية العالم على حقيقتهِ .

- آدم ـ لم أستطع يوماً مجاراتك في الحديث، لكن لدي نصيحةٌ لك كصديق، عليك أن تكسر الزجاج الذي أصبح يحيط بك، ويحولك إلى قطعة فنية تستقطب كلَّ من يريد مشاهدة الألم، سرعان ما سيتسخ هذا الزجاج بفعل بصمات أصابعهم التي لن تحمل لك سوى الشفقة، ولن نستطيع حينها الرؤية منه .

«أطرق نظره إلى الأرض قليلاً»

- لكن ما جرى سيغير حياتي إلى الأبد.

- آدم الحياة تعاقب الرجال الأقوياء على صمودهم، لكنها تستسلم لهم في النهاية .

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

الفصل الثاني عشر

لمَ جرى لنا ما جرى؟
لأننا احتوينا بحاراً من المعاصي
ولم يتسرب منا جدولٌ للغفران

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

اشتريتُ حذاءً!؟

«إن كل ما يهمنا في أي حادثةٍ مأساوية نستمع إلى تفاصيلها، أن نتأكد أن الكلمات التي تروى بها هذه الحادثة لا تشير إلينا، أي أن نأخذ صك ضمانٍ أننا لن نتعرض لمثلها، وندقق في تفاصيلها كأننا نحفظها، لكي نتفادى سيناريو مشابهاً يودي بنا إلى فجيعة مماثلة .

لذلك كان آدم وجبةً دسمة لكل الصحف والمجلات لتكتب عنه، الجميع يريد أن يحصل من قصة أدم على صك ضمانه .

لكنَّ ما جرى معهُ يخبركَ بطريقة وحشية، أنك لست بعيداً أبدا عن حدثٍ قد يغير حياتك، ويحولك إلى لوحةٍ حزينة لا تكترث إلا بالألم .

منذ أن عاد آدم إلى المنزل، كانت أمه حريصة أن تنسيه كل ما حصل معه، لكن كلما كان يحاول أن يقف، كانت قدماه المفقودتان تذكرانه بما حدث له، وأن ذلك لم يعد ممكناً.

- لقد أصبح طولي الآن ١٥٠ سم فقط، لقد كان هذا طولي في المرحلةِ الإعدادية .

أمي، هل تعتقدين أنني يجب أن أشكر من فعل بي هذا.؟ لأنه أعادني إلى مرحلة الطفولة، إلى تلك السنوات الجميلة، هل أشكره على تذكرة العودة لماضٍ كنت فيهِ أبتسم ذات يوم ؟

هل تعتقدين أن قدماي ستنموان مجدداً ؟؟؟

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان amer.suliman.92

كان يقولها، ودمعتان تسيران ببطءٍ على خديه، تغازلان حزنهُ ، قدماه المفقودتان تعيدان عمل أمه إلى نقطة البداية باستمرار، كان يرفض أن يغادر المنزل، لا يريد أن يرى الناس يسيرون على أرصفةِ الشوارع، المرة الأخيرة عندما أقنعهُ جلال بالخروج، استوقفه أمام واجهةِ متجرٍ للأحذية، لطالما اعتاد أن يقف عنده، لم يمتلك جلال الجرأة لأن يقول لهُ شيئاً، حرك آدم كرسيه متجهاً إلى داخل المتجر ،كان الرجل يعرفهُ جيداً، فهو زبونهُ الدائم»، قال له آدم :

- هل يمكنك أن تُريني هذا الحذاء؟

« فكر جلال ، هل من الممكن أن آدم نسي أنه !

للحظة حاول آدم أن يستعيد حياته السابقة، كان البائع ينظر إليه بالكثير من الحب و الألم و الأسى، لقد سمع ما جرى له، وكان يخشى من ذلك اليوم الذي سيراه فيه!

كل من كان في ذلك المتجر كان يراقب آدم بشفقة، لم يستطع جلال أن يحتمل مشهداً كهذا، ففضل البقاء خارجاً، تناول البائع الحذاء و بحركة لا إرادية نظر إلى الرقم أسفله، الرقم الذي يحدد قياس الحذاء!

كان يعلم قياس قدم آدم بدقة، أمسكه و هو يبتسم بحزن، وقال:

- لا داعٍ لذلك -لم يفهم البائع ما عناه بقوله؟!- لا داع للقياس الصحيح، كل القياسات الآن تفي بالغرض .

نظر آدم إلى الأشخاص في المتجر، كان الجميع يحملون النظرة ذاتها التي يحملها البائع في عينيه، بدأ يألف الألم الذي تحدثه نظرات الآخرين إليه،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

فما يؤلمك بالحرمان ليس الحرمان ذاته بل فكرة أن الجميع يمتلك ما أنت محرومٌ منه .

سأل البائع: ما ثمن الحذاء.!؟

رفض البائع أن يأخذ نقوداً، كان في رفضه مذاق الشفقة، لكن آدم مانع بشدة ، أصر أن يسدد ثمنهُ .

غادر آدم و هو يحمل الحذاء بين يديه، يحتضنهُ بدفء، اشترى ذلك الحذاء كرشوة للدموع كي تغادر عيني أمه، يريد أن يخبر أمه بلهفةِ طفلٍ صغير عندما يعود إليها أنَ شيئاً لم يتغير، أنهُ مثل الجميع، أنه لم يفقد قدميه .

«أمي لا مبرر لدموعك بعد الآن لقد اشتريت حذاءً !»

نحن هكذا لا يعنينا الألم، إلا إذا كان في قالبٍ جميل، لذلك رفض آدم كل محاولات الصحفيين لمقابلته، يعلم أنهم يرون في ألمه وجبة إعلامية دسمة، عددٌ يحطم أرقام المبيعات لا أكثر .

كم مؤلم في هذا العالم استغلال الحزن والألم، لصناعة الحدث!

منع آدم كل عدسات الكاميرات من الوصول إليه، وأحبط كل محاولات الأقلام للكتابة عن حزنه، حتى تغير ذلك كله عندما هاتفه الصحفي الشاب: تيم، قالَ له بصوتٍ هادئ:

- إنه لمن الأنانية أن تحتفظ بهذا الحزن لنفسك فقط، للحزن عشاقه أيضاً، هل تسمح لي أن أتقاسم معك حزنك؟

" هذه هي الكلمات التي سمحت لتيم الدخول إلى أعماق حزن أدم »

أجابه آدم بعد صمتِ ثوانٍ:

لاجئ الى عينيكِ - عامر سليمان amer.suliman.92

- متى تظن أنك قادر على الإنصات للألم، هلا وسهلا بك .

لم تكد تمضي ٢٤ ساعة، حتى كان باب منزل آدم يطرق، كان يتوقع قدومه .

فتحت أمه الباب:

- تفضل يا بني، آدم يتوقع حضورك .

كان آدم ينتظره في غرفة الضيوف، قال له :

- توقعت أنك ستأتي مسرعاً إليّ، أنت تشبهني، تفضل بالجلوس .

لكن قبل كل شيء ماذا تود أن تشرب؟!

- هل ستطول جلستنا؟

- هذا مرهون بك أنت .

«علم أنه يجب أن يدير دفة الحوار بذكاء، مع رجل كآدم يجب أن تكون كلماتك منتقاةً بعناية .»

- سنبدأ إذاً.

- مخرجٌ ناجحٌ يترك عمله المزدهر في الخارج، ليعود إلى وطن تلتهمه نيران الحرب، يمكننا أن نسمي هذا جنوناً؟؟

- بل حنيناً ـإنه حنين إلى كل شيء هنا.

- ما الذي كنت تفكر به عندما اقتربت من مجموعة رجال مدججين بالأسلحة، وفوهات بنادقهم تتجه نحوك؟

«ركز أدم بصره نحو الأرض، كان يستحضر المشهد كأنه الآن .»

- أذكر أنه لم يكن هناك وقت للتفكير، إنقاذ ذلك الطفل الصغير كان المنطق الوحيد حينها.

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- لم تفكر في احتمال أنهم من الممكن أن يقتلوكما معاً؟

- أجل لكنني كنت قادراً على جعله غاضباً، وأعلم كيف أجعله يصوب غضبه نحوي فقط .

- لكن ألم يكن هناك طريقةٌ أخرى للنجاة؟؟ (ضحك بخفة)

- بدت فكرةً جيدة حينها.

نظر تيم إلى دفتره، وطرح سؤالاً آخر:

- أتعلم فكرت مرارا، خلال سنوات هذه الحرب، كيف للإنسان أن يتحول؟ كيف لهُ أن يحترف القتل؟

الرجل الذي أطلق النار عليك ، كيف تحول الموت بالنسبة له خلال سنوات قليلة أمراً اعتيادياً؟

تحضر آدم للجواب، وبعد ثوانٍ:

- كنت أعرف طفلاً صغيراً ،لم تربطني به صداقة، غير أنه كان يقطن بالقرب من منزلي عندما كان صغيراً، أهداه والده لعبةً على هيئة بندقية، كان سعيداً جداً بها، حتى أنني أكاد لا أذكره إلا وهو يحملها، عندما كبر تقدم للكلية الحربية لكنه قوبل بالرفض، بسبب عيب طفيف في جسده، وبسبب الفوضى التي حصلت، استطاع أن يمتلك بندقية، كيف لا، والحصول على بندقية في وطني أسهل من الحصول على رغيف خبز؟

انخرط بإحدى المجموعات القتالية المسلحة، ولم يمضِ وقت طويل حتى انتقل إلى مجموعة أخرى، والآن هو يقاتل لصالح الجيش!

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

لم تعنيه يوماً قضيةٌ قط، هو فقط يلهو بالدمية التي أهداها له والده منذُ عشرين عاماً.

لم يتحول خلال سنوات الحرب، بل بدأ الأمر عندما فتح ذلك الطفل هدية والده. نحن لا نقيم وزناً لأفعالنا وأقوالنا أمام الأطفال، لا نعلم الأثر العميق الذي تحدثه، لم يعلم ذلك الأب أن ابنه الصغير عندما يكبر سيستبدل بندقيته المزيفة ببندقية حقيقية، يراقص الموت بها .

تيم: هل تعتقد يا آدم أن من حمل السلاح خارجٌ عن القانون؟

- جميعهم خارجون عن القانون، لكن أيضاً أولئك الذين صنعوا القانون، لم يجعلوه عادلاً كفاية لكي نمتلك جرأةَ أن نجرم من يخرج عنه .

بعد تأملٍ، قال تيم:

- لقد فهمت جيداً ما قصدته .

أكمل آدم:

- أحد الهزائم الكبرى التي تعرض لها العقل الإنساني عبر كل مراحل التطور التي مرَّ بها، هي أننا أصبحنا في القرن الواحدِ و العشرين، و لا زلنا إلى الآن بحاجة لإثبات حقائق بديهية!

نخوض الحروب دون جدوى و نخوض نقاشاتنا دون جدوى أيضاً، ننسى دائماً أن كلاً منا هو النتاج الطبيعي للبيئة التي نشأ بها، عندما تنظر إلى الإنسان يجب أن تنظر له عبر تاريخه، وسلسلة تجاربه التي جعلته الإنسان الذي هو عليه، جعلته يتبنى هذه الفكرة أو تلك، يجب أن ننظر له كما ننظر للوحة فنية

عندما تنظر للوحة رسام يجب أن تنظر عميقاً و بعيداً خلف طبقات الألوان تلك، إلى حيث كانت عينا رسامٍ تتأمل جمال مشهد، و بقيةُ حواسهِ مشغولةٌ في منحهِ فرصةً للخلود بالألوان .

الإنسان يشبه تلك اللوحة، و الطبقات هي السنوات التي عاشها الإنسان، و الألوان هي التجارب التي تختار لنا نظرتنا للحياة، أما المشهد الذي يجسده كلٌ منا فهو صنيعة القدر .

قد يكون البعض منا يجسد مشهداً حزيناً، و آخرون السعادة، والبعض شيء من هذا، و قليل من ذاك، يجب أن نستوعب ذلك جيداً.

‹ أخذ تيم يرتشف من فنجان قهوته، وآدم يراقبه بهدوء، كان سعيداً بوجوده، أراد أن ينقل إليه شريط ذكرياته المسجل خلال هذه الحرب بأكمله، كأنه كان يفرغ ذاكرته من كل ما هو مؤلم، تنهد بشهيقٍ شقَّ صدرهُ:

- أبٌ حنون كان له أربعة أولاد، وكان يعمل طيلة يومه، ليعود حاملاً لهم آخر النهار الخبز وكل حاجياتهم، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم عندما وجد الناس يحتشدون أمام منزله، لأن قذيفة أودت بحياة عائلته بكاملها، فأصرَّ أن يدفنهم في منزلهم، في المكان الذي قاسمهم فيه الحب و الحنان، لم يتغير الكثير سوى أنه بات يحمل لهم كل يوم الورود بدلاً من الخبز .

أكمل آدم بعينينِ بائستين:

- أفكرُ أحيانا أن ما حدث في وطني هو حيلةٌ مؤذية ابتكرها التراب بسبب شهوته للورود، و أنه كان يكفي أن نزرع الورود فقط لنتجنب ما حدث .

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

- هل ترى إذاً أن البحث عن الحرية في مجتمعنا جريمة؟ تدفع هذه الشعوب البائسة جزيتها؟

«كأن آدم كان ينتظر هذا السؤال، أجابه بسرعة»:

- يجب على الحرية أن تكون كاملة، لو مُنح الإنسان الأرض كاملةً، باستثناء مترٍ واحد لكانت الحرية في ذلك المتر الصغير، ولأصبحت الأرض باتساعها زنزانة ضيقة، يا صديقي، لا يمكن أن أكونَ حراً وأنا عاجزٌ عن سماع صوت الحرية، بسبب رنين القيود والسلاسل التي ترنُّ في يديّ و قدميّ، هذه الشعوب جميعها مقيدة بسلطة التقاليد والمجتمع، وسلطة رجال الدين، والصراع الدائم بين حقوق المرأة وسطوة الرجل، و قبل أن نطالب بأيّ شيء يجب أن نسأل أنفسنا:

هل نحن أحرارٌ حقاً؟!نحن لم نبحث يوماً عن الحرية، بل كنا نبحث عن نوع آخر من العبودية .

‹ أخذ تيم علبة السجائر، وأخرج منها واحدة وأعطاها لآدم .

- أتدخن؟؟!!

- لا شكراً

أشعل سيجارته وسحب منها سحبةً طويلة، وقال له:

- منذ ظهور الحروب الدنيئة في العالم،لم أستطع أن أتوقف عن التفكير بعدة تساؤلات كانت تلتهم مخيلتي، أليس إيمان الإنسان وليد بيئته المحيطة؟! وإن كانت تلك البيئة مشوهة ألن يكون ذلك الإيمان مشوهاً أيضاً؟؟ وفي فوضى هذا كله هل سيشفع كل هذا للإنسان خاصةً بعد أن مُنح هبة العقل؟

نظر ادم في عينيّ تيم:

- حسناً لنطرح سؤالاً يبسط هذه المعضلة قليلاً:

إذا منحتك مصباحاً وأدخلتك إلى كهف مظلم، لكنك لسببٍ ما لم تشعل ذلك المصباح، وبقيت تائهاً داخل ذلك الكهف، ألن تكون مذنباً بحق نفسك لمجالستك الظلام، وأنت تمتلك ما تطرده به عنك؟!

الجواب بديهي لتيم بالطبع، أكمل آدم :

- أعتقد إذاً أن إجابة تساؤلك تكمن في الإجابة عن هذا السؤال، وأعتقد أن كل من تاهت بوصلته الدينية، أو بوصلته الإنسانية عن الصواب، في الحقيقة لم يشعل مصباح عقله .

أطفأ سيجارته في المنفضة قبل أن يكملها، كان يتفرغُ ليطرحَ سؤالاً لطالما كان يخشى أن يطرحهُ على أحد، لكنه أمام آدم شعر بالأمان ليسأل أيّ شيء:

- آدم ألم تفكر في هذا السؤال؟

هل الله موجود حقاً؟

وإن كان موجوداً، ألا يرى ما يحدث؟؟

وإن كان يراه فلماذا لا يمنعه؟؟

نظر أدم إلى النافذة قليلاً، و بعدها أطرق رأسه للأرض قليلاً، وتيم يراقبه.

- حسناً لعل الكثيرين ممن يدينون بالله، وبالرسالات السماوية، تسممت أفكارهم، وأصاب إيمانهم التصدع، ذلك حتماً بسبب الفظائع التي ترتكب في هذا العالم الوحشي، سواء ممن يحملون رايات الدين ويخوضون حروبهم الدينية باسم الله، أو ممن لا يمت للأديان بصلة،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

لكنه لطالما حمل الوحشية في هيكله و يرتكب الجرائم بدوافع مختلفة، شخصية، أو اجتماعية، أو عرقية، أو .... أو ....

تلك التساؤلات المشروعة لكل إنسان يفكر بالخير و الشر في هذا العالم، و ينتظر من الله أن ينتصر للخير، هذه التساؤلات هي إحدى اللبنات الأساسية التي يبني الملحدون عليها جدار إلحادهم، فإذا كان الله موجوداً حقاً فكيف سمح بكل ذلك؟؟

قال آدم :

- حسناً لو فكرنا بعمقٍ قليلاً، سنجد أن تلك الجرائم والفظائع لم ترتكب إلا لأن الإنسان كان يمتلك مفتاح حريتهِ المطلقة، فاستطاع بها أن يرتكب أفظع الجرائم وأشدها رعباً ودموية، أي أنه استطاع أن يذهب إلى أبعد ما يوصله إليه جانبه المظلم، وأرى في ذلك منطقاً بحتاً، لو أن الله لم يعطِنا الحرية المطلقة أو أنه أعطانا حرية جزئية، لكان ذلك سيطرح عدداً لا حصر له من التساؤلات، التي ستلتهم عقل المؤمنين قبل الملحدين .

كيف سيحاسبنا الله ونحن مسيرون ولسنا أحراراً ؟

كيف نعلم حدود الحرية التي أعطاها لنا الله ؟؟

وحينها، لن يكون هناك جدوى من أن نعيش هذه الحياة، وليس هناك داعٍ ليومِ القيامة الذي يؤمن به نصف البشر على هذه الأرض، فعندما يتعلق الأمر بالشر حتى إن كنت مجبراً عليه، تكون مذنباً لأنك لم تقاتل للحفاظ على إنسانيتك، لم تقاتل من أجل أن تحافظ على أثمن ما أهداه لك الله، الحرية. الحرية في أن تقوم بالصواب دائماً وتدافع عنه، مهما كان ما تتعرض له مؤذياً،

إن كان الإيمان سهلا فلن نستحق الجنة .

- هل تظن أنك تستحق هذا الألم إذاً؟ تستحق ما حدث لك؟

نظر آدم إلى قدميه، وقال:

- يولد كلُ إنسان ولهُ رصيد من الألم، يجب أن يستهلكه خلال مسيرة حياته.

ابتسم ابتسامةً صفراء، و أكمل متهكماً:

- و أعتقد يا صديقي أن لديّ رصيداً مفتوحاً.

قاطعهُ تيم: و السعادة!؟

- بالنسبة للسعادة الأمر يختلف قليلاً، إن كمية السعادة في العالم ثابتة، و البشر في ازدياد، هل سمعت يوماً بتجار السعادة؟!

أولئك الذين يحاولون باستمرار، تصدير تجربتهم عن السعادة إلينا، ويتهموننا أننا مخلصون للحزن، يجب أن يعلموا أننا لسنا مخلصين للحزن كما يتهموننا دائماً، لكن السعادة تخوننا أو أنهم يستهلكونها بإسراف بحيث لا يبقى لنا شيء منها، لتقتات به قلوبنا .

للسعادة مكونات يجب عليك أن تكون مستعداً لتتشاركها، بعدها يحق لك أن تشتم أولئك الذين يعبدون الحزن، لذا لا يمكننا النظر إلى الأمور بهذه الطريقة، الحياة تسير بهدوء لكنها لا تنتظر أحداً، ولن تنتظرك حتى تفهمها، عليك أن تسير معها دائماً، إن كنت محظوظاً فقط قد تتاح لك نافذة من الوقت يمنحها لك الحزن تستطيع بها أن تشاهد الحياة من مشهد خارجي يسهل حينها فهمك لها.

- لكن لماذا الحزن؟؟

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- لأنه يمتلك القدرة على جعل الزمن بطيئاً جداً .

- هل تستطيع أن تفسر لي إيمانك؟ أنا مندهشٌ حقاً كيف لا تزال مؤمناً بعد كل ما جرى؟!

- الإيمان تعريفاً: هو العدو اللدود للمنطق، في الحقيقة هو لا يعترف أبدا بوجود المنطق، كأن تحاول أن تتحسس النور بواسطة حاسة الشم أو السمع، هكذا هو الإيمان، يسألك الجميع كيفَ تؤمن، وتقف عاجزاً عن الإجابة .

بالنسبةِ لي أنا أعلم حقيقةً واحدة: «عندما تظن أنه أحيط بك كلياً، وحده الله يستطيع أن ينتشلك من أعماق الظلام و يعيدك إلى الحياة بقوة .»

إن كنت محظوظاً ذات يوم فهو لأني وجدتُ الله، فالظلم الذي يقع علينا،في الحقيقة ليس إلا طريقة لفهم الإيمان من جديد .

بعد تفكيره بكلام آدم برهةً، قال تيم:

- كثرٌ ظلمتهم هذه الحرب يا آدم لم يكن آخرهم صديقي، الذي خطفت عائلته من قبل داعش وبعد عام عَلِمَ بخبر وفاتهم جميعاً، تطوع بعدها لقتال داعش، كان يحاول أن يدافع عن الإنسانية في وطنه من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب السوري، لكنه عندما مات كان من الصعب أن يجدوا له متراً ونصفَ ليدفن فيه، لقد أصروا حتى بعد الشهادة أن يقتلوه .

آدم : أتعلم أن أكثر ما يؤلمنا أنه لا أحد يحمل ذاكرةً مؤذية كما نفعل نحن السوريون؟، القاتل لكلٍ منّا أنه عندما يسأل أي إنسانٍ عن ذكرى قبل عام ٢٠١١ يستطيع أن يعود إليها بسهولة، يستطيع أن يعود إليها بسنواتٍ من الحب و الحنين، لكننا كسوريين،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

ولكي نعود إلى تلك الذكرى يجب أن نعبر سنواتٍ من الحسرة وعقدين من الألم

كان تيم مندهشاً بآدم و بتفكيره، كان مختلفاً عن كل من التقى بهم من قبل .

- آدم هل جربت أن تمسك قلماً، وتلطخ بياض ورقةٍ بكلماتك قبل أن تفقد قدميك؟؟

- لا كنت بحاجة لقليل من الحزن، لأستطيع أن أكتب .

- والآن ؟

- الآن أحتاج أن أفقد أطناناً من الألم، لكي أستطيع أن أمسك القلم فقط .

نظرات آدم المتكررة إلى الساعة، جعلت تيم يعلم أنه يخشى المساء لسببٍ ما، فسأله مباشرة .

- هل تخشى المساء؟؟

رفع أدم نظره إلى عيني تيم ـ «لقد أصاب الحقيقة حقاً»

قال لهُ و هو ينظر عبر النافذة، يراقب الليل، الذي يفرد ظلامه بهدوء:

- المساء صديقٌ ساديٌ جداً يمنح الذكريات الوقت لتقتلنا ببطء، ويمنحنا نحن الوقت لكي نغوص في رمال الذاكرة، ثم يراقبنا كي ننازع للبقاء على قيد الأمل .

(زفر تيم زفرةً طويلة، حصل في هذه المقابلة على أكثر مما كان يريد، لكن، كان هناك سؤال يجب أن يبحث له عن إجابة!)

- آدم . . .

لمَ جرى لنا ما جرى؟؟

- لأننا احتوينا بحاراً من المعاصي، و لم يتسرب منا جدولٌ للغفران .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

(أنهى تيم هذه المقابلة، فخوراً بنفسهُ على ما دونهُ في دفتره الصغير، شكرَ آدم، و لملم حاجياته، ومضى وعندما وقف على باب المنزل، ووضعَ يدهُ على مقبض الباب استوقفهُ سؤالٌ أخير، فالتفت إلى آدم) .

- متى ستنتهي هذه الحرب؟

- عندما يوقن الجميع أنها قد تستمرُ إلى الأبد .

ابتسم تيم، لم يتفاجأ بالإجابة، كأنه كان يعلمها لكنه يود سماعها من آدم، أومأ برأسه مصادقاً على إجابته و غادر.

الفصل الثالث عشر

سأحملك نوراً في داخلي ،كلما أحاط بي الظلام،
نظرتُ إليكِ في قلبي .

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

جنون الدقائق

فتحت الظرف الورقي كان بداخله شيك بمبلغٍ مالي، مبلغٌ يكفي لشراء أثاث منزلٍ جديد.

كُتب على الظرف عبارةٌ صغيرة: « تستطيع الابتسامة شراء الأشياء» .

بوصلتها اللغوية أشارت إلى آدم، كلمات سارة البسيطة أحدثت أثراً عميقاً لديه، و عندما يتعلق الأمر بسعادة الآخرين، كعادته آدم يمضي فيه دون أن يفكر كثيراً، لقد باع كل ما كان لديه من كاميراتٍ للتصوير و أدواتٍ للإنتاج ، كانت تلك الكاميرات و المعدات، كل ما تبقى من حياته السابقة، أراد أن يبني لنفسه حياةً جديدة من ركام حياة .

و بعد مضي وقت على الحادثة، بات العمل هو المنقذ لآدم .

العمل،هوالمكانالذيتلقيفيهبكلتلكالساعات،التيلاتحتاجإليهاكيلاتستخدمها في إيذاء نفسك، كان لابد له من العودة إليه، إلى المكان الذي تشكل فيه حلمه أول مرة «المسـرح»، بعد أن ألح عليه صديقه، الذي لا يزال يعمل إلى الآن في المسرح .

«اشتقت فعلاً لرائحة الخشب العتيق في المسرح، لبقعة الضوء الصغيرة، تقف فيها، فتدور حولك العيون، للستارة الحمراء» .

بعد سنوات من مغادرة آدم للمسرح، عندما وقف مع صديقه سعد في قاعة المسرح أطال النظر إلى تفاصيله بدقة، كأنه كان يقارنها مع الصورة التي يحتفظ بها في ذاكرته، ليعلم حجم التغيير الذي تحدثه بضع سنواتٍ في خشب مسرح عتيق .

قال له صديقهُ محاولاً كسر صمته:

- آدم منذ أن دخلت إلى المسرح للمرة الأولى، وحتى الآن، ما الذي تغير خلال اثني عشر عاماً؟

- تعلم؟!

لم يتغير شيءٌ أبداً مع استثناء بسيط أنني، عندما دخلت هنا أول مرة كنت أضج بالحياة، أكثر من طفل لم يتم العاشرة من عمره، لكنني منذ أن فقدت قدمي، أصبحت أكبُرُ عاماً كل يوم هل يمكنك أن تتخيل كم أصبح عمري منذ ستة أشهر إلى الآن؟ أنا الآن هرمٌ أكثر من هذا المسرح يا صديقي.

- هل فكرت في أي مسرحية ستبدأ عودتك؟

- بالتأكيد، مسرحيتي التي كتبتها عندما كنت لا أزال طالباً؟

لكنني من الآن فصاعداً، سأستخدم اسماً مستعاراً، لن أستخدم اسمي الحقيقي بعد الآن في الإخراج .

- في بعض الأحيان يصعب علي فهمك .

- لا أريد لأحد أن يتعاطف مع ألمي ويجاملني لحضور مسرحياتي، حتى وإن لم يحضر المسرحية سوى عشرة أشخاص، لا أريد قاعة تغص بمشاعر الشفقة

- أقدر ذلك تماماً، وأتمنى لك التوفيق، فعندما يكون المخرج آدم، لا يسعنا سوى الجلوس وسط المتفرجين، والاستمتاع بالعرض .

› ابتسم آدم ابتسامة للمجاملة، فأولئك الذين كسروا بإتقان لا تكفيهم الكلمات ليعودوا سعداء .

معهم تفقد الكلمات سحرها، الشعيرات الحساسة في آذانهم،

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

مختلفة عن تلك التي نمتلكها نحن، فهي تمنع الكلمات المحملة بالسعادة من التسلل إليهم، تمنعهم من أن تحدث فوضى بداخلهم، فيبقى الحزن لديهم رتيباً .

أمضى الشهر التالي منهمكاً في التحضير لمسرحيته، يستيقظ في الرابعة صباحاً، يحتاج دائماً لساعتين قبل الجميع، ويمضي إلى المسرح، ليصل قبل الجميع أيضاً!

وحده من فقد قدميه يعلم معنى أن يستيقظ في السادسة صباحاً ليذهب إلى عمله قبل أن يراه الآخرون، العيون ذاتها التي يبصر بها الناس كانوا يستخدمونها لإيذائه دون أن يشعروا .

قَدِمَ جلال لرؤية آدم في المسرح، غداً موعد العرض الأول .

أدم كان منهمكاً في توجيه ملاحظاته إلى الممثلين على الخشبة، وجلال يجلس قربه، ويراقبه، كان آدم يحادث جلال تارةً، وتارة أخرى يوجه كلامه لطاقم المساعدة، وبعد حوالي ما يقارب ساعة، كان جلال يتحين اللحظة المناسبة، فقال له: ستحضر سيلينا العرض غداً.

كرعدٍ أصاب قلباً كان قد فارق الحياة، فأعاده إليها، كان هذا الخبر. و لعله أجمل خبر حصل عليه من قبل الحادثةِ بأشهر، كان يعلم أنه بعد الآن لن يكون كاملاً إلا في عينيها .

لم يكد يصدق نفسه، خبر كهذا بالنسبة لآدم لا يمنحه قدمين فقط بل جناحين، ليحلق بهما بعيداً عن حزنه وكآبته، يحدث ذات حب أن تلتقي شخصاً تقف مشاعرك عنده بثبات، وتبقى ورقة الروزنامة التي تحمل تفاصيل

ولادة ذلك الحب، معلقة على جدران قلبك، رغم كل هزات النسيان، التي تصيب كيانك الداخلي .

أخبروك أن زلازل النسيان ستمحو آثار كل حب سابق في قلبك، أخبروك أيضاً أن الأيام دائما تمضي، والآن أنت تعلم جيداً أن حباً كهذا، لا تمضي بعده الأيام أبداً.

تزاحمت كثير من المشاهد داخل رأسه ـسيلينا ستأتي اليوم ـحقاً سأراها؟؟

لا تستطيع أبجدية مكونة من ٢٨ حرفاً أن تصف لك عقداً من الحنين، أعوام مضت يا سيلينا، هل تشتاقين لي، كما أشتاق لكِ؟

كانت هذه الأفكار تلتهم ساعات الليل، خطف النعاس آدم قبل موعد ذهابه إلى المسرح بساعة واحدة فقط، حتى السائق الذي ينقله لم يأت إليه، لأنه أخبره أن جلال سيقلّه غداً إلى المسرح، مع أن جلال أخبره أنه سياتي إلى العرض مباشرة، ونسي آدم من هوسه بحضور سيلينا أن يعلم السائق بذلك .

هاتفه النقال فارغ من الشحن، وساعة المنبه التي لا تقضي ليلتها إلا فوق رأسه، كانت في الغرفة الأخرى التي نام داخلها آدم البارحة مصادفة، حتى بطارية كرسيه المتحرك قد فرغت من الشحن.يحدث ذلك فقط عندما يتآمر القدر عليك، ويقوم برشوة حاجياتك الخاصة لصناعة مكيدةٍ لك .

استيقظ أدم ـكمن استفاق من كابوس، نظر إلى ساعته !

لقد بدأت المسرحية منذ نصف ساعة، هاتفه كان فارغ الشحن، حتى كرسيه المتحرك خذله، استعمل يديه ليدير عجلة كرسيه، ونزل إلى الشارع .

مضت بضع ثوانٍ حتى جاءت سيارة أجرة، شعر أنها عمراً بأكمله،

ساعده سائق السيارة في الصعود إلى التاكسي، للمرة الأولى لم يمانع آدم ذلك! لهفة اللقاء أعادت ترتيب أولوياته، لا بأس أن يراه الجميع الآن هو الذي كان يصر على ألا يراه أحد .

الشارع الذي كان آدم يتعمد أن يخرج إليه ذاهباً إلى المسرح قبل أن يستيقظ، بات يلقي نفسه في وسطه في وضح النهار، دون أن يبالي بكابوس العيون، كان الطريق يستغرق ما يقارب الربع ساعة، لكن بسبب الاختناق المروري، بفعل التفتيش الدقيق للحواجز الأمنية، كان يتطلب أكثر بكثير، نظر إلى ساعته، بقي أقل من نصف ساعة على نهاية المسرحية،لم يستطع الانتظار، نزل من سيارة الأجرة .

صعد إلى رصيف المشاة، وأخذ يحرك عجلات كرسيه المتحرك بسرعة كان ذلك يتطلب جهداً من ذراعيه، و في كل دورةٍ لعجلاتها، كان ينظر في عيني أحد المارة، ذلك الشخص حتماً يحدق إليه، أو بالأحرى إلى قدميه الغائبتين اللتين تمنحان كرسيه المتحرك مبرراً للبقاء في مشهدٍ كهذا، كل ما كان آدم قادر على فعله، هو أن يغمض عينيه إلى الأسفل، ويدفع كرسيه إلى الأمام دفعةً قويةً .

كل دفعة لعجلاتها، هي محاولة بائسة للنجاة من كابوس العيون، لقد كان ينتقل بين أعين الناس كبقايا دمعةٍ تخشى لمس الأصابع ، وعندما يغمض عينيه ويفتحهما، كان يتمنى أن يختفي جميع من في الشارع ليصبح وحيداً .

اللهفة، القلق، البكاء، واليأس، كلٌ منها كان يحتل بضع ثوانٍ من كل دقيقة تمر على آدم وهو يدفع بكرسيه المتحرك عبر الشوارع للوصول إلى سيلينا .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

بدأ يشعر أن يديه تدفعان كرسيه المتحرك، لكنهُ يبقى ثابتاً دون حراك، خارت قواه حقاً، لكنه لم يستطع أن يدفع بهما أكثر، وقد بقي شارعٌ ونصف للوصول إلى المسرح .

هل سيتوقف هنا ... ؟

حاول بيأسٍ مجدداً أن يدفع بكرسيه المتحرك، لكنه لم يفلح، نظر إلى المارة، كان الجميع يسيرون من حوله بسرعة، أو كان هذا ما يخيّلُ إليه، أغمض عينيه وبدأت ذكرياته تمر أمام عينيه، لم يكن يمتلك غير الذكريات، وكل خطوة للأمام كان يدفع ثمنها ذكرى .

كان يبيع ذكرياته للوصول إلى المسرح .

كان يريد أن يتكلم ...

كان يريد أن يقول لهم ...

كان يريد أن يحرك شفتيه ...

لكن لم يكن هناك طريقةٌ ليخبرهم أن ما يفصله عن الحياة .

أن ما يفصله عن عيني سيلينا شارعٌ ونصفٌ و ذراعان فقط .

الدقيقة التي كانت مقسمة بين لهفةٍ، وقلق، وبكاءٍ، ويأس، الآن يحتل ثوانيها اليأس فقط، وفواصل من الدموع .

و بعد مضي خمس دقائق، بدأت عيناه الغارقتان بالدموع، تميزان قدمي طفل صغير يقف أمامه مباشرة، بدأ يستجمع دموعه داخل عينيه، وبدت القدمين واضحتين أمامه، رفع آدم عينيه إلى وجهه .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

دهشة آدم كانت لا تصدق، لقد كان الطفل الصغير ذاته الذي منحه ذاتَ يومٍ تذكرةً للموت، عاد الآن ليمنحه تذكرةً للحياة .

قال له بنظراته البريئة:

- إلى أين تذهب؟؟

أشار له آدم، إلى أخر الشارع التالي .

الطفل: المسرح!!!!

حرك آدم رأسه مشيراً لإجابة: نعم .

أوقف آدم دموعه، وعادت دقائقه إلى اتزانها، فكر و يدا ذلك الطفل تعبران به الشوارع باتجاه المسرح بعبارة «محمود درويش»: «على هذهِ الأرض ما يستحقُ الحياة» .

لم يستطع يوماً أن يعترفَ بالحقيقةِ التي تحملها هذه العبارة، ولا أن يسقطَ تهمةَ الكذبِ عن أحرفها .

والآن، أصبح يدرك جيداً.

« نعم أصبحتُ أعلم، نعم درويش، على هذه الأرض ما يستحق الحياة حقاً»

عيناها

قال متمتاً بالدموع: يجبُ الآنَ، أن تهديها نصفَ قصائدكَ، لأنها حملت في عينيها براءةَ أحرفك .

وصل إلى المسرح، نظر إلى الطفل الصغير الذي أخذ ينظر إليه أيضاً، احتضنه آدم وقبله، كان وداعاً بين قدرين باتا متعادلين الآن ـ مضى الطفل في الشارع الطويل، ودخل آدم إلى المسرح .

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

كان قد بقي عشر دقائق على نهاية المسرحية، والآن أصبحت دقيقة آدم بكاملها مليئة باللهفة لروية سيلينا .

كانت تجلس في الصف الثاني في الوسط تماماً، عشر دقائق وهو يحدق إليها؛ كان يبحث عن الشيء الذي خبأه داخل عينيها ذات فراق، ابتسامتها محفزٌ لسعادته، همس بشفتيه كأنها تنصت إليه:

«ابتسامتكِ صكُ وفاةٍ لحزني»

عشر دقائق، كانت فرصته كي يعيد ترتيب نفسه .

انتهى العرض المسرحي، وغادر الجميع إلا سيلينا بقيت جالسةً في كرسيها، وكأنها تنتظر شيئاً، تتجول بعينيها في أرجاء المسرح، فاجأها صوت رجلٍ يتسلل إلى خشبة المسرح يجلس على كرسيٍ متحرك، وقف على بعد خطوتين من بقعة الضوء .

خاطبها:

- هل تفسرين لي ذلك؟

أركض مبتعداً عنك أياماً متواصلة، وأستريح برهةً لالتقاط أنفاسي، فإذا بكِ تمسكين بي .

كيف استطعتِ فعل ذلك؟!

كيف تمسكين بي، وأنتِ لم تنهضي عن كرسيكِ حتى؟

لم يستطع أحد أن يتخيل كم الدهشة التي اتسعت داخل عينيها.

قالت لهُ:

- من أنت؟

amer.suliman.92 لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان

- أنا ذاك الشخص الذي يجلس في كواليس المسرح، يسترق السمع إلى ضحكات الجمهور وأحياناً إلى أصوات بكائهم، بانتظار أن تنتهي المسرحية، لأخرج من مكاني، فأمسح بقايا دموعهم عن المقاعد وألملم شهقات ضحكاتهم عن الجدران .

لم يكن المسرح يوماً بحاجةٍ إلى عامل نظافة، بل كان دائماً بأمس الحاجة إلى عامل مشاعر .

- لقد أحببت ذات يومٍ رجلاً يشبهك كثيراً في فلسفتك للحياة، يشبهك في اختيارك لمفرداتك .

أدار ظهره لها، حاول أن يهرب منها مرةً أخرى .

أكملتْ:

- يشبهك حتى في تفاصيل الفراق .

الكرسي المتحرك منع آدم من الهرب مجدداً، كما لو أن ذلك الكرسيَّ كان صفقةً بين القدر وسيلينا كي تمسك به أخيراً .

أطرقت نظرها إلى الأرض برهةً، وقالت بصوتٍ تخنقه الدموع:

- لست قريباً لكي اشتم رائحتك، ولست بعيداً كي أرثيك بالدموع، أنت تماماً في المكان الذي تستطيع قتلي فيه بلطف، لقد قلت لي ذات مرة أنك ستبقى في داخلي، لصيقاً بقلبي، وأنني لن أشتاق لك بعد اليوم إن كان هذا يعني لك الآن شيئاً، فأنا في أمس الشوق إليك .

التفت إليها، وتقدم إلى وسط بقعة الضوء، بدأت دموعهُ تلمع، قال لها:

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

- آخر ما كنتُ اتمناه ان تنتهي قصتنا بحقيبة صغيرة من الدموع و تذكرة للصعود على قطار الألم و فلم قصير يُعرض طوال الرحلة .

لم يكن أيٌ من هذا مقدراً له ان يحدث ، أعتذر لأن النسيان كان أضعف من أن يقترب من عينيكِ المحفورة داخلي كنقشٍ على جدار معبد .

طيلة فراقِنا وأنا أعلقُ رجوعكِ إليّ مع كل غروب شمس، علّها تعيدك لي عندما تشرق في الصباح، فما وفى بوعده الغروب ولا الشّمسُ كانت من أجلِ عينيكِ تذوب .

« سيلينا»

أنتِ القطعة الباقية بعنف من الذاكرة الجميلة، لا زلت أحتفظ بها رغم كوارث الحروب .

- في الحقيقة يا آدم .

كان الجميع حاضراً إلا أنت كان يحتضنك الغياب بقوة و على مسرح قلبِي كنتَ وحدكَ حاضراً و الجميع يصفق لك بما فيهم الغياب .

أكمل كلماته بحياء المذنب:

- إلى أيّ درجةٍ أصبحتِ الآن تكرهينني؟

- إلى درجةِ أنني أحببتك من جديد .

ابتسمتْ لهُ ابتسامةً لطيفة ممزوجةً بالحب و الدموع، صعدت بعدها إلى خشبة المسرح، جثت على ركبتيها أمامه ووضعت يديها على كرسيهِ المتحرك، وقالت لهُ، و هي تبتسم بدموعها، وتنظر في عينيه الواسعتين:

لاجئ الى عينيكِ – عامر سليمان
amer.suliman.92

- كنتُ أخشى أن تُضلَ الطريق إليّ ..!

- كان يجب أن يكون هذا آخر ما تفكرينَ به، فكل الطرق تؤدي إلى عينيكِ .

ضمتهُ إليها و أخذت تبكي بلهفة نظر آدم في عينيها:

- سيلينا ...

أنا هاربٌ من أعينهم، ولاجئٌ إلى عينيكِ .

لاجئ إلى عينيك

AMER SOLIMAN

هناك أشخاص نسمح لهم أن يدخلوا قلوبنا، على الرغم من معرفتنا أنهم يحملون جواز وفاء مؤقت، وأنهم عند أول محطة خيانة تصادفهم، سيمزقون جوازات وفائهم، وكل أوراقهم الثبوتية في قلوبنا، وعلى الرغم من ذلك نسمح لهم بالعبور ونشرع لهم مدن عشقنا، لا بل نسير نحن إليهم، رغم أننا نرى في عيونهم هلاكنا، ظناً منا أن الموت في سبيل من نحب موت جميل، وننسى أنه لا يجب أن نكون أوفياء أكثر مما ينبغي، لأن أعظم الأوفياء من يستطيع الوقوف عند محطة الخيانة نصف ساعة ويمضي دون أن يشعر به أحد...

عامر سليمان

amer.suliman.334
Aadm.Selenaa
amer.suliman.92

9 789996 684258

إشراقات للنشر والتوزيع
طبعة خاصة بسوريا

darishrakat
darishrakat11
+965 - 65974691
darishrakat@gmail.com